الثقافة

AL-THAQAFA

الإدارة : ٩ شارع [illegible] عابدين — القاهرة — تليفون رقم ٤٢٩٩٩ / ٥٦٢٦٩

العدد ٢٥٠ — الثلاثاء ١٣ من شوال سنة ١٣٦٢ — ١٢ من أكتوبر سنة ١٩٤٣ — السنة الخامسة

فهرس العـــــدد

في الهــواء الطلق

كانت رحلتنا هذه المرة إلى « الأهرام » في ليلة اكتمل فيها البدر ، فصبغ العالم بلونه الزاهي الجميل ، وامتلأ الوادي بفيضان النيل ، فكان في ضوء القمر فضة منابة ، ورق النسيم ورق الجو ، فكان كل ذلك متعة النفس وجلاء القلب .

وكنا أربعة خامسنا عالمنا ، قد تخصص في علم النفس ودرسه في مصر وفي أوربا ، وفي المدارس النظرية والمدارس العملية ، وشغف به حتى شغله عن كل شيء ؛ فهو قليل الكلام إلا إذا عرض شيء فساق ، فهو يتعمق ويتعمق ، وإذا تحدثنا في شخصية من الشخصيات السياسية أو المالية أو العلمية ، أخذ يحللها نفسياً ، ويرجع مظاهرها إلى عناصرها الأولى ، كما نحلل نحن عدداً حسابياً كبيراً إلى عوامله الأولية . وإذا روينا حادثة اجتماعية حدثت ، أخذ يشرحها وينظر في أعماقها ودقائقها ، كأن هذا العالم وضع تحت عدسته « ميكرسكوباً » دقيقاً .

قال له أحدنا : يا دكتور ، هل لك في هذا الجو الهادئ الجميل أن تحدثنا ، وتشرّح لنا نفوسنا ، وتسلط علينا عدسة ميكرسكوبك ، وتقرأ لنا نفوسنا كما يقرأ عالم الكف أكفنا ، فهذا درس عملي لذيذ ، وفرصة سانحة تكشف لنا كثيراً من نفوسنا ، وقد تفيدنا في أخلاقنا .

الدكتور — لا شك أن هذا عمل لذيذ مفيد ، وحقيقة إنها لفرصة سانحة ، فقد كنتم أصدقائي منذ صباي ، واطلعت على نفوسكم وتصرفاتكم في المواقف المختلفة ، وادخرت منها الشيء الكثير في ذاكرتي ، مما يسهل في الحكم عليكم ، ولكني أخشى أن أفضحكم أو أغضب بعضكم ، فكشف النفس أمر لا يستحب ككشف الجسم ، وقد يحسن أن يكون ذلك حديثاً منفرداً مع كل منكم ، حتى لا يطلع عليه الآخرون فيألم لذلك ؛ والناس جميعاً في كل مكان يودون أن يظهروا

بتطهير الكمال ، وتعرية نفوسهم كشف لعوراتهم ، والناس في مصر أشد حساسية في ذلك ، فهم يكرهون النقد ، ويكرهون الناقد أكثر من غيرهم ، ولذلك ضعف النقد ، وركن الناقد إلى السلامة ، سواء في ذلك النقد السياسي والأدبي والاجتماعي . ولما عدت إلى مصر من أوربا أدركت هذا المعنى في وضوح ؛ فقد بدأت أنقد في مصر كما كنت أنقد في أوربا ، فصُدمت صدمة قوية عنيفة جعلتني أتردد في النقد ؛ ولا أدري سبب ما رأيت من تأخر النقد ، فقد كان النقاد في مصر أقدر وأجرأ منهم اليوم ، ولا يصح تعليل ذلك بالحرب وإعلان الأحكام العرفية ، فإن هذا إذا صدق في السياسة لم يصدق في الأدب والفن ، وحتى قبيل الحرب لم نكن في هذا الباب خيراً مما الآن .

(ا) — كيف لا تدري السبب — يا دكتور — وأنت متخصص في علم النفس الفردي والاجتماعي ، ولا شك أنك صادفت مثل هذه الأعراض ...

الدكتور — ليس الأمر أمام ... السهولة ؛ فعالم النفوس من أعقد العوالم وأدقها ، وفي كثير من الأحيان كانت تُعرض علينا حالات فردية كنا نحار في تفسيرها — أنا ومن يعمل معي من أساتذتي وزملائي — ونذهب فيها كلّ مذهب ، وأخيراً نقرر عجزنا عن حلها . هذا في حالة نفسية فردية ، فكيف في حالة اجتماعية ! ولكن — على العموم — يخيل إليّ أن سبب ضعف النقد في مصر وغضب المنقودين يرجع إلى أن رقي الثقافة العامة في أوربا جعلتهم يدركون أن كل فرد له مزاياه وعيوبه ، فإذا كشفت عيوب شخص فلا بأس ، فهذا أمر طبيعي ، ثم فشو الروح الرياضي في الأمم جعلهم في ألعابهم يتلقون الضربات في سماحة ، ويتلقون النقد في سماحة مثلها ! ثم إن معدل « مركب النقص » في مصر أكبر منه في أوربا ، ولذلك كان النقد يزيد في المنقود هنا شعوراً بهذا النقص ، فيغضب ويتألم ، ألا ترى أن الرجل الواثق بنفسه لا يؤلمه النقد كما يؤلم من فقد الثقة بنفسه ، وهكذا !!

(ا) — لكن هذا يا دكتور يصح أن يكون سبباً في ضعف النقد في مصر عنه في أوربا ، ولكن لا يعلل ضعف النقد في مصر عنه في مصر أيضاً منذ سنوات .

الدكتور — هذا صحيح ، وفي ظني أن هذا يرجع إلى أسباب اجتماعية وتاريخية أكثر منه إلى أسباب نفسية ، وإن كانت هذه الأمور مرتبطة بعضها ارتباطاً كبيراً ، فغلبة الرجعية ، وعدم استجابة جمهور الأمة لدعاة التجديد ، وغير ذلك من أسباب ليس هنا موضعها ، كان سبباً في ذلك .

(ا) — قد خرجنا من موضوعنا بعض الشيء ، فلنعد ... ولك علينا عهد ألا نغضب ، وأنت من جانبك لا تعمق في مشرطك ، ولا تبالغ في جرحك ، واستعمل الإشارة أحياناً ، والكناية أحياناً ، ففي ذلك كفاية .

... أن تقول كل شيء حتى في الرزانة من الجو الفسيح ؛ فإن أنت مدحتني وعددت إلى محاسني ومزاياي كان مدحك صحيحاً وكلامك صحيحاً ، وإن ذممتني وانتقدتني كان مدحك سخيفاً وكلامك سخيفاً ؛ وأنا راض في الحالين ، والحكم عليك لا علي .

(ضحك الجميع)

الدكتور — وليكن ، ولكن اسمحوا لي أن أتكلم كلاماً عاماً بعض الأحيان ، وكل منكم يطبقه إن شاء — على نفسه ، ومن محاسن الصدف أنكم الأربعة تمثلون أصناف الناس ونماذجهم الأصلية ؛ فأولا — « ا و ب » من النموذج الذي يسميه علماء النفس Introversion ، ولا أدري كيف أسميه بالعربية ، فمعناه الحرفي « تحويل الظاهر إلى الباطن » ، وهذا الصنف من الناس — عادة — من خصائصه أن يعيش في نفسه أكثر مما يعيش في خارجها ، يميل إلى الدرس والبحث ،

فإذا غلب عليه هذا المزاج فهو أميل إلى الفلسفة والعكوف على أفلاطون وأرسطو وسبينوزا وأمثالهم ؛ ومن هذا الصنف أيضاً فريق المتصوفة الذين يغرقون في أنفسهم ويحللونها ويشرحون مقاماتهم وأحوالهم ، هم — عادة — منطوون في أوساطهم ، يكرهون المجتمعات والحفلات الصاخبة ، يشعرون شعوراً بالغاً من الألم الشاذ ، ولا يشعرون شعوراً عظيماً من الفرح العظيم ، ويفضلون أن يجلسوا في حجراتهم يحللون مشكلة اجتماعية أو نظرية رياضية على شهود ألعاب رياضية أو حفلة موسيقية .

وأما « ح و ق » في الصنف الآخر الذي يسميه علماء النفس أيضاً Extraversion ، ومعناه الحرفي « تحويل الباطن إلى الظاهر » ، وهذا الصنف من الناس — عادة — لا يستطيعون الصبر على النظر إلى أنفسهم مدة طويلة ، ولا يستطيعون أن يصبروا على البحث العميق الطويل ، يحبون الناس واجتماعاتهم ، وقد يشتركون في الحفلات والولائم والإعداد لها ، ويحبون الاشتراك في الرياضة ، يلفتون الأنظار إليهم في تصرفاتهم ، ويحبون الظهور وأن يُكتب اسمهم في الجرائد دائماً — يكرهون الفلسفة وأهلها ، ويكرهون العزلة ؛ ويحبون من الروايات الكوميديا ويكرهون التراجيديا ؛ ويعجبهم من الموسيقى النغمات المرحة ولا تعجبهم النغمات الحزينة وهكذا .

ومنشأ ذلك خلقة وطبيعة وظروف أكثر منها أي شيء آخر .

أتذكر يا فلان (ا) أنك كنت ضعيفاً في صغرك ، لا تشترك مع الأطفال في لعبك ؟ أو لا تذكر يوم كنا في المدرسة الثانوية معاً ، وكان إخواننا في الفصل يطلقون عليك لقب « مالك الحزين » ، وقد نما هذا الشعور عندك ، فطلقت الجمعيات ، واحتضنت الكتب ، وشعرت بمركب النقص عندك ، فتحركت الطبيعة « التعويض » ، وكان هذا التعويض أن تخلق من نفسك عالماً غير العالم الخارجي تستمتع فيه ، ثم نمت عقلياتك على حساب الملكات الأخرى وعلى حساب الاشتراك مع الأصحاب في الألعاب والحفلات ، فتفوقت على زملائك في العلم والعقل ، وضعفت عنهم في النواحي الأخرى : في الألعاب الرياضية ، في الحفلات السارة ، في الأعمال الاجتماعية ؛ وتُعَرِّضني نفسك بهذا التعويض قوَّمت الحياة العقلية أكبر من قيمتها ، كما قومت الأنواع الأخرى من الحياة أقل من قيمتها ؛ ولم تكتف بذلك ، بل سبحت في عالم من الخيال الفلسفي ، وجعلت مشغلك في الحياة عزلة من الحياة العملية إلى حياة فكرية مجردة تسخر فيها بحياة الناس العملية — حتى إنا لما دعوناك إلى هذه الرحلة معنا أتيت بمضطر يشبه الإكراه . أليس كذلك ؟

وعلى العكس من ذلك أخونا (ح) ، فقد نشأ — كما تعرفون مرحاً — وصحة جيدة ووسط مؤات ، ولما كان تلميذاً في المدرسة الثانوية كان رئيس فرقة الكرة ، وكنا [illegible] ومسليها ، وهو المتفرج فيها ، ولكن لا يحضر في بيته [illegible] كرة إلا عند الضرورة القصوى ؛ فلما أتم دراسته كان كما ترون رجلاً يعرف الدنيا ، ويلعب بالبيضة والحجر كما يقولون ، لا يعترف بالهزيمة إذا كانت ، يلعب في حياته كما كان يلعب الكرة في مدرسته ، إذا غُلبت فرقته مرة ضحك ، واستعد أن يغلب في المرة القادمة ؛ وربما أخونا « ا » يحتقر درساً في حجرته في نظرية « الأوساط » عند أرسطو ، إذا بأخينا « ح » يطبق نظرية « الأوساط » في حفلة رقص .

(ضحك من الجميع) .

(ا) — إذن فما رأيك في أخينا « ف » ، وأخينا « س » ؟ فقد نسيتهما وصببت كل كلامك على « ا » و « ح » .

الدكتور — الواقع أني لم أنسهما ، ولكني بدأت بالكلام في « ا » و « ح » لأنهما نموذجان متقابلان يشرحان فكرتي في وضوح ، وباقي إخواننا ليسوا إلا صورة مكبرة

أو مصفرة منهما أو ملونة لوناً آخر غير لونهما ، ولكن الأساس واحد .

فأخونا « هـ » عكس أخينا « أ » ؛ أخونا « أ » مصاب بمركب النقص ، وأخونا « هـ » مصاب « بمركب التسامي » ، وكلاهما عيب ، ومركب التسامي في نظر علماء النفس ليس إلا دهاناً كثيفاً يغلف مركب النقص . فالمصاب بمركب التسامي تظهر عليه أعراض معينة ، فهو يشعر بنقصه ، ولكن يمنع الناس أن يدركوها كما يدركها هو ، ووسيلة ذلك الظهور بالتسامي والظهور بمظهر العظمة ؛ ألا ترى أن الكتاب الكبير حقاً ، العظيم حقاً ، لا يطبع إلا عند الضرورة ، وأما الكتاب الصغير الحقير فيتبجح ويقفز لأنه الأشياء يعلن بذلك عن نفسه ، ويغطي شعوره بنقصه !! كذلك الرجل العظيم حقاً لا يفتخر بعظمته ، لأنه يشعر أن أعماله كافية في التعبير عنه ؛ ولو أن المرأة جميلة لا تبالغ في حليها وزينتها كما تبالغ من شعرت [illegible] من العيب أو القبح ؛ والقوي الكريم [illegible] لا يتظاهر بما يتظاهر به « المتحدث » في [illegible] كل شاعر بنقص في ناحية من النواحي يحتاج إلى عمل إشارات كثيرة تجعل الناس يؤمنون به ولا يطلعون على عيبه ، شأنهم في ذلك شأن الطفل الصغير يشعر بالخوف فيأتي بإشارات وحركات يتظاهر فيها بشجاعته . ألا تروه يحاول أن يفرض رأيه علينا فرضاً ، ولا يسمح لأحد أن يقترح رأياً بجانبه ، ويريد أن يشعرنا دائماً بشخصه ، وهو الذي اقترح بحثنا اليوم ونقدها . لا يحاسب نفسه كثيراً على تصرفه ولا على من اجتاحهم أثناء سيره ، يصحبنا دائماً الطموح ، وشكك في قيمة الناس فيكتسحهم !!

(د) كتب في عينك قبل الأدب ، لم يبق إلا أن تشتغل بالكتب ، وما الكتب إلا أنت وحفظك الفارغ ، كآلة تحفظها وتطبقها على ما يصلح لها وما لا يصلح ، ومشتقة ألفاظاً من مركب النقص ومركب التسامي لا حقيقة وراءها ، إن كنت مشكلاً حقاً ، فحلل لنا نفسك وبين ملامحها بالكتب .

الدكتور — آسف كل الأسف ، وهذا ما كنت أخشاه من أول الأمر ، ولكني ما كنت أتوقع أن يبلغ الأمر هذا المبلغ ، فما ذنب طبيب إذا عرض عليه مريض فرأى عنده سرطاناً فقال إنه سرطان ؟ أيكون منصفاً إذا قال إنه ورم بسيط ؟ ولكني نسيت أمراً تعلمته ، وهو أن الإنسان لا يسمح لطبيب النفس أن يشرحه ويبين مرضه كما يسمح لمريض الجسم ، ولهذا سبب ليس محله الآن ، وكل ما أقوله إني آسف ومعتذر .

(أ) — تعلمك يا دكتور ليس في التشخيص ، ولا في [illegible] ولكن في أنك فقدت التعبير الرقيق والتشبيه [illegible] كان يمكنك التعبير عن هذا المعنى تعبيراً أرق ؛ [illegible] في التعصب ، فقد تعاقدنا أول [illegible] أمامنا فسيح ، وميدان القول [illegible] من الدكتور ما يعجبك ، ودع ما لا يعجبك في النيل أو في الهواء الطلق .

(الجميع) — وهو كذلك . فأكمل لنا « د » ، وبذلك ينتهي الحديث في صفاء .

الدكتور — أما أخونا « د » فهذا الغرق في نفسه إلى النزعة الدينية ، نشأ مرهف الحس في وسط كثير التدين ، ولمست أذنه والده وصلاحه وكثرة صلاته وصيامه ، وامتلأ ، عقيدة بحقارة الدنيا ونعيمها ، وكثرة ذكر الموت ، وتطلعه لحياة أخرى فيها الكمال المطلق ؛ وفي هذا الوسط نشأ أخونا « د » ، فما شعوره القوي بالدين ، وضعف اعتماده على وسائل الدنيا ، وقوي اعتماده على الله ، يعتقد أنه يتدفق في يد القدر . يرى أن النفس دائماً أمارة بالسوء ، فهو يتطلع إلى الاستمداد من قوى روحية أخرى تعينه على السلوك المستقيم ، فهو ينال ملاذ الحياة

محذر ، ويخاف من النعيم أن يجره إلى الإثم ، ومن الإثم أن يجره إلى النار ، وظل ضميره وشعوره من هذه الناحية حتى تسلطا على كل أفعاله ! فمقياس العمل عنده دافعاً الجنة والنار . أضعف عنده الخوف فهرب من أداء الواجبات الدنيوية ، وركّز نظره إلى الحياة الأخرى يضع فيها آماله ، ولا أريد أن أطيل حتى لا يغضب أيضاً .

فلعلكم ترون من هذا هذه الفرصة السعيدة التي جمعتنا ، وكان اجتماعنا أشبه باجتماع النماذج البشرية كاملة ، فهذان اثنان محكومان بعقليهما ، أحدهما محكوم بعقل منطقي فلسفي ، والآخر بعقل عملي ، وهذان اثنان محكومان بعواطفهما ، أحدهما محكوم بعواطف دينية ، والآخر بعواطف دنيوية .

ولكن أرجو أن تخبرنا الآن [illegible]

(ه) — لا ! هذه فورة وتحليلات [illegible]

الدكتور — لعلى أستطيع [illegible] أحدثك وحدك عن سيكولوجية الشهوة [illegible] التي تدعوك له .

(ه) كلا ، لا أريد سيكولوجيات ولا تحليلات ، فإنا أعرف بنفسي منك .

(ا) — ولكن يا دكتور هل هذه العناصر الأربعة أساسية غير قابلة للتحول ، أو يمكن تحويل عنصر إلى عنصر ؟

الدكتور — أرى أنه لا يمكن ذلك ، فلا يمكن تحويل « ا » إلى « د » ، ولا « ب » إلى « حـ » ، ولو استحال النحاس إلى ذهب . وكل ما في الأمر أن هذه العناصر الأربعة ضرورية في الحياة ، لازمة للمجتمع ، ولكلٍّ غرض ، وكل يتخذ لإدراك غرضه أدوات وآلات ووسائل . وما يصبو إليه الأخلاقي والمصلح الاجتماعي ليس أن يحوّل الإنسان من عنصر إلى عنصر ، ولكن أن يُبقي على غرضه وعنصره ، ويحاول أن يجعله يتخذ من الوسائل ما يتفق وصالح المجتمع ؛ فقد يتخذ صاحب الغرض وسائل خسيسة لتحقيق غرضه ضارة بمجتمعه ، فيأتى المصلح ويبين الغرض للناس أن يتخذوا لغرضهم وسائل شريفة تفيد المجتمع . فغرض الشهرة — مثلا — والقصد إلى التسامى ليس شراً فى ذاته ، ولكن يتفق فى هذا العنصر بعض العظماء جداً وبعض المجرمين جداً : الأول اتخذ وسائله فى الشهرة الإتيان بأعمال تنفع أمته ، والثانى اتخذ وسائله الإجرام ، وشتان ما بينهما ؛ والقائد المنتصر ، والنبي الذى يُبعث ، والمصلح الذى ينبغ ، من أكبر الرجال الذين يعرفون نفسيات الأتباع ، فيعرفون كيف يرشدون كلاً إلى الناحية التى تشتمل عليها من غير أن يغيّروا من تكوينهم الأساسى ، وعنصرهم الأول .

(ا) — ولكن يا دكتور كيف تُسنى لهذه العناصر المختلفة أن تتصادق [illegible] كما خلقنا ماء ونار ، وحرارة وبرودة [illegible] ، ومع ذلك نحن أصدقاء متحابون لا يستقل أحدنا عن بعض ، ونشعر كأننا عروة لا تنفصم ، ووحدة لا تتجزأ ، إذا غضب أحدنا لا يلبث أن يصفو ، وكان مقتضى الظاهر أن نتخاصم وأن نتعادى ، لا أن نتصادق .

الدكتور — لهذا أيضاً سبب سيكولوجى عميق يرجع إلى أصول أنبأ علماء تحليل النفس ، فهل أنتم على استعداد للبقاء هنا إلى الصباح ؟

(ا) — لا ، ولكن على أن تعدني أن نتقابل غداً وحدنا إذا سافر الآخرون فتحدثني عن سر ذلك ؟

الدكتور — وهو كذلك .

وكانت الساعة قد بلغت الثانية صباحاً ، وقد تساقط القمر فى عرشه ، فركبنا سيارتنا وعدنا من حيث أتينا .

ولما عدت إلى بيتى أبيت إلا أن أقيد أهم ما كان ، حتى لا يطويه النسيان .

أحمد أمين

عصابة البيت الأحمر

ترجمة الدكتور أحمد زكي بك

شر في القراد

الجدري مفتاح الفرج

وصل الثالث : البيت الأحمر معمل علمي في واشنطن ، والعصابة التي يدعوها من العلماء الأفذاذ تستخدمهم حكومة الولايات المتحدة ، يحاربون الأدواء حيث ما ظهرت في الولايات. ومن أجل الموت في سبيل الواجب .

وأحد هذه العصابة الدكتور «اسبلبر» ، أشخصته الحكومة إلى الغرب ، إلى ولاية «مونتانا» ، إلى حيث الوادي الجميل وادي «بطروط» ، وبه حمى [illegible] تصيب الناس [illegible] .

حزم «اسبلبر» أمتعته وزوجه وطفلته ، وركب القطار فبلغ بلدة «هاملتن» في تلك الولاية [illegible] .

واستقبله هناك «بركر» [illegible] الحشرات ، وهما الرجلان [illegible] .

وكان المعروف أن الحمى لا تصيب الرجل إلا إذا لدغته قرادة . وكان سبقهما إلى الحمى ومشتركة القراد علماء آخرون ، أثبتوا أن القراد هو المسئول ، واستخلصوا [illegible] مكروب هذه الحمى ، وزرعوه في خنازير غينية ، ونقلوه من خنزير إلى خنزير ، ثم إلى القرود .

وخطر على بال «بركر» أنه لا بد أن يكون في هذا الوادي الرهيب ، وادي «بطروط» ، حيوان قرّاض ، كالفأر والسنجاب ، يحمل الوباء في دمه . وأن القراد الذي يعيش على جلد تلك القوارض يشرب من دمها فيشرب من وبائها ، ثم هو بالنهش ينقل هذا الوباء إلى الإنسان الذي يخاطر بالذهاب إلى ذلك الوادي .

والآن إلى :

وأخذ «اسبلبر» «بيتي» دار المدرسة القديمة التي جعلها تكون معملا ، بينما صعد «بركر» الحشري إلى الجبال يجمع القُراد ، ويعينه على جمعه «هنري كاوان» . وكان «كاوان» Cowan رجلا ضخم الجسم أشبه شيء بالدب الضخم ، وكان لا يخيفه شيء أبدا . ولحق «بركر» غير «كاوان» رجل يدعى «سلسبرى» Salisbury ، وكان يعتنق دين المسيحية العلمية ، وهو دين يشبه الدين المسيحي في مجمل تعاليمه ، إلا أنه يسلِّم أن لا حقيقة في الوجود الإنساني غير الإنسان . فالعقل هو الحقيقة التي لا مرية فيها ، والفكر الصادر عنه هو الشيء الحق الوجود الدائم أبدا ، أما الجسم وغيره من المرئيات والمحسوسات فهي من خلق الإحساس ومن رجعة الفكر ، فلا وجود لها إلا في الفكر وبالفكر ، وليس لها كينونة ذاتية أصلا . وقد تعلّم «سلسبرى» من دينه هذا أن لا يؤمن بالموت .

صعد هؤلاء الرجال الثلاثة إلى الجبل ، إلى ذلك الوادي الضيق السحيق ، وادي «بلودجت» Blodgett ، وادي الموت ، يجمعون القراد .

صعدوا الجبل بين كثيف من الشجر ، من شائك وغير شائك ، وعلى رؤوسهم وأكتافهم قبعة بيضاء لوّحوا بها أمامهم ليتقوا من الأغصان وما حملت . ورويدا رويدا دخلوا في وادي الموت مُصعِدا ، وعلى الأغصان من حولهم تجمّع القراد يترقب . وكان صحا من نومة الشتاء لما مسته شمس الربيع ، وصحوته صحا فيه إحساس الجوع وتعطش للدماء . وتعلق القراد على الأغصان بأرجله الوسطى ، وأطلق أرجله الأخرى من قدّام ومن خلف ، يلعب بها في الفضاء ، متربصا حتى يرى شيئا متحركا فيسقط عليه . ومضى الرجال الثلاثة يلوّحون بالرايات البيضاء أمامهم فيتساقط عليها القُراد حتى غطاها .

وخلعوا كل حين وحين قمصانهم — حتى «سلسبرى» الذي كان لا يؤمن بالموت — خلعوها ليروا هل حط شيء من القراد عليها . وفحص بعضهم جلود بعض وهم عراة . ورجعوا إلى «اسبلبر» كل مساء بأكوام حية تتلوى من قراد في أحقاق من ورق . وتعرّوا كل ليلة من كل ما ستر هم من لباس يتفحصون جلودهم قبل الرقاد .

ويطلّ «اسبنسر» إلى هذه الأحقاق وهي ملأى بهذا الحصاد الحيّ الزاحف المخوف الذي جمعه «ركر» وصحابه. وينظر إليها ويفكر: أكان هذا القراد فيه الموت؟ أو أنّى من هذا القراد الموت؟

ووقفوا على حقيقة ذهبت بما كان اختطه «ركر» من مسح مناطق القراد من السماء في طائرة، أو على الأقل أخرجت هذه الخطة من رؤوسهم لسنوات، وأنهضتهم كما ينهض كلاب الصيد غريمة، واخذنا يتشممون في أعقاب صيد مكروبيّ من أعجب ما ابتدع خيال إنسان. ونتج كل هذا الأمر عن نزعة غريبة في «اسبنسر»، هي نوع من كسل، هي رغبة متأصلة فيه أن يحيد عن الطريق الطويلة، ويعزم إلى غايته طريقا أقصر وأخصر.

وكان طريقه الطويلة أن يفحص ما جمعه إخوانه من قراد ليرى أيها يحمل أسباب الحمّى، وأن يفحصه كله. ومعنى هذا أن يأتي بكثير من الخنازير الغينية ويحلق بطونها، ثم يجمع الحفنة من القراد التي جمعوها من الحقل الطوق الواحد ويشدها إليه بشبكة من النحاس الأصفر، يضعها إلى البطن شريط عظيم من الأشرطة الربعة اللاصقة. وأي عمل طويل متكرر متعب هذا.

ثم هو ينتظر من بعد هذا الأيامَ والأسابيع، يتربّص بالخنازير أن تظهر عليها أعراض الحمى.

أراد «اسبنسر» أن يختصر هذا الطريق الطويل فسأل نفسه كيف يكون الحال لو أنه وضع كل مجموعة من القراد يأتيه بها «ركر» في هاون، وأعمل فيها يدَ الهاون حتى يسحقها سحقا جميلا، ثم أخذ من هذا الحساء الثخين فيحقن بحقن منه الخنازير. وقال لنفسه إن الحظ إلا كهذا يوفّر نصف الوقت، ولم يقل كما يقول الكسول إنه يوفّر نصف المجهود أيضا. وكان سبق له أن أجرى تجربة صغيرة أرته أن هذه الطريقة قد تكون أضمن وأوثق.

كان في خلق «اسبنسر» كسل الرجل الحلّام، وكان يجمع هذا الرجل ذو الكسل البطيء المتئد، وكان يجمع إلى كسل الحالم ميلا إلى نقض المألوف من الأشياء، والعمل بغير ما تعارف عليه الناس. فبدأ بعد سحق قراده وتحضير حسائه، بأن حقن خنازيره الغينية بهذا الحساء ليعطيها الداء. ولم تكن هذه — علم الله — بالطريقة التي يُعطى بها القراد المرض في الطبيعة لإنسان أو حيوان.

واستقرّ «اسبنسر» إلى هذا العمل الرتيب المملّ فظلّ يحقن مائة حقنة في مائة خنزير غينيّ، من أحسية مائة صنعها من مائة مجموعة من القراد جمعها «ركر» في أحقاق مائة من مائة بقعة موصوفة مرقومة يسكنها الموت إن قليلا وإن كثيرا في ذلك الوادي اللعين.

حقن «اسبنسر» هذه الأحسية الآلاف، وتربّص بالخنازير أن تصيبها الحمى. فإذا كانت النتيجة،

كانت خيبة كاملة بديعة.

لم يصب أحد من هذه الخنازير حمى أو شبه حمى. مع أنه أجرى بعد حقنها الحمى، الكثير من دماء قراد حيّ، من نفس تلك البقاع التي سبق أن جاءها الرجال عاما بعد عام، فغادروا منها لتصيبهم الرعدة بعد بضعة من أيام، نذير أن الحمى دخلت إلى أجسامهم.

وأعجب من هذا أنهم أرادوا إصابة نفس تلك الخنازير من بعد ذلك بالحمى يأتون بمكروبها من مرباه في خنازير غينية، فنقلوه بها حيا ينقلونه من خنزير إلى ثان إلى ثالث في سلسلة طويلة لا تنتهي أبدا. فدخل هذا المكروب إلى دم الخنازير التي حُقنت بالأحسية فلم يُضرها شيئا، وصمدت لهذا المكروب الذي لا يصمد له خنزير أبدا.

أفلا كسبتها إذن تلك الأحسية حصانة ضد المكروب؟ أوْلا، فما تفسير هذا؟ وكيف تأتّى للقراد أن يعجز دمه عن إصابة الخنازير بالحمى، ثم هو بعد ذلك يحميها من المكروب الحيّ الذي لا تحتمي منه الخنازير؟

وحسب «اسبنسر» أن هذه الطريقة التي أراد أن

يجزم بها إلى نائبه اختصارا ، قد فشلت . ومن قد فشلت حقا لولا « بركر » . و « اسبنسر » أول رجل يعترف بذلك . فقد كان « بركر » ، ذلك الرجل الشرقي ، رجلا حسن التنظيم لأعماله . وكان دقيقا فيما يصنع ، كثير الحرص على ما يجمع ، فكان من ذلك أنه لم يضيع ذلك القراد ، الآلاف من الأصناف ، بعد أن فرغ « اسبنسر » من تجاربه الفاشلة . فقد كان قام إلى ما تبقى منها فرده إلى أحقاقه بعناوينها ، ثم وضع الأحقاق في الثلاجة . لقد علم « بركر » أن تجربة « اسبنسر » قد فشلت ، والحق أنه لم يكن به حاجة أن يحتفظ بما تبقى من القراد ، ولكن هكذا كان « بركر » لا يحب بطبيعته أن يرمي شيئا أبدا .

***

حدث بعد ذلك حادث الجدي الذي حال من هذا الفشل نجاحا ، وأخرج من تلك [illegible] ذلك أن « كوان » كان في الحقل مع [illegible] Elmer Creenup ، وكانا في وادي [illegible] فحدث أن سمع فيما حدثني فأطلق عليه « كوان » النار فأرداه . وليس في السجلات ما يستشف القارئ منه إن كان هذا من طلب طلبه « اسبنسر » منه ، أن يحمل إليه جديا من جديان هذا الوادي ، أو أن هذا كان لهوى قام بقوى الساعة في نفسه . ومهما يكن ، فقد دخل « كوان » الضخم على « بركر » في المعمل وقد حمل الجدي على عاتقيه العريضتين . وكان « بركر » طلاب قراد ، يطلبه من شتى الأصقاع وشتى الأوضاع .

وجلس « كوان » وصاحبه « جريناب » يلتقطان القراد من شعر هذا الجدي النافق . وكان هذا القراد من نفس القراد الذي جمعوه على الربائب لما لاخوا بها تحت الشجر ، بفارق واحد ، هو أن قراد هذا الجدي كان منتفخ بسبب جرعات حتى أتخمها من دم الجدي ، أما ذلك القراد الذي سقط من أغصان الشجر على الربائب فكان قرادا مفرطحا جافا لا دم فيه إلا قليلا نادرا .

وأولوا تجربة هذا القراد كما جربوا ذلك . وكانت تجربة أثبتت أنها من النجح بمكان : فالجديان الحيل لا تصاب بهذه الحمى المبقعة ، وليس في مجرى كالذي ما كان أن ميكروب هذه الحمى ميّز عليه في دم جدي منها . ومع هذا فقد شاء « بركر » أن يفحص كل القراد أينما وجد ، على الشجر أو على الطير أو في جلد حيوان .

وترى « اسبنسر » قائما على هاون يطحن فيه ما جمع الأخوان من قراد الجدي ، ويسحقه حتى صار مزيجا سائلا ثخينا ... ولم يكن من سبب يدعو « اسبنسر » إلى اتخاذ حيطة غير عادية ، ولم يكن في باله أن هذا القراد قد يكون قاتلا . وحقن هذا المزيج في بطون خنازير .

ولم يمض ثلاثة أيام حتى بلغت حرارة هذه الخنازير [illegible] درجة ، ثم إحدى وأربعين درجة ، ثم [illegible]

[illegible] هذا تحقق « اسبنسر » من أحلامه صورة مذعورة كما يذعر النائم . وأخذ العمل ، ذلك المدرس القديم ، يمج تخطيط التجارب غريبة لم يسمع بها أحد من قبل أبدا . إن القراد المفرطح الذي لا دم فيه ، ذلك الذي سقط من الشجر ، لا ضرر منه للخنازير إذا هو حقن حساء فيها . أما القراد السمين الممتلئ بالدم ، ذلك الذي التقط من الجدي ، ففيه الموت كل الموت . وكلا القرادان من نفس الوادي ، وادي الموت المخوف . فما هذا الذي فرّق بينهما فجعل منهما أضدادا ؟

أيكون أن القراد تنام فيه أسباب الحمى عندما يتجمد بصقيع الشتاء في تلك البراري ؟ ثم أيكون ما يشربه القراد من الدم في هواء الربيع الدافئ موقظا تلك الأسباب النائمة في القراد ، فتنقلب من أشياء لا ضرر فيها (أو حتى أشياء واقية من الداء) إلى أشياء قاتلة مهلكة ؟

(البقية في صفحة ٢٦)

من مذكرات جحا :

أيها الموت !

للأديب الكبير صاحب التوقيع

[والتهنئة على صاحب الوثيقة التى زعم أنها بخط يد الأديب الكبير جحا نفسه ...]

فيم الحياة وقد سُدّت فى وجهى سبلها ؟ فلا مال أعيش منه كما يعيش العاطلون ، ولا تجارة أقوى على المزاحمة فيها والفوز فى معاركها وعالمها ، ولا قدرة لى مع هذا كله على أن أكون لصاً سارقاً أو ناصباً نهاباً .

أليس الأليق بمثلى أن يمضى عن هذه الحياة التى لا يستطيع أن يسلك سبيلاً من سبلها ؟! ليت أدرى هل هذه حال بى « ماهوش » خاصة ، أم هى الحال التى قدرها الله علىَّ أينما حللت ؟ فإذا كانت الأولى فما أصعب العيش وأكرهه فى هذا الوطن الذى [illegible] يخلق وبهملنى ، وما أوسع بلاد الله [illegible] ومفراً لكى أنفض عن نفسى معرة هذا الهوان ! وإذا كانت الثانية فليس أمامى إلا سبيل واحدة ما أوعرها وما أقساها ! ليس لى عند ذلك إلا أن أتخلص من هذا العالم كله ، فأستريح من عناء الحياة كلها ! ولكنى كلما فكرت وعزمت ضعفت نفسى واعترتنى الوساوس والشكوك . فهل ينبغى للمؤمن مثلى أن يهلك نفسه ؟ إن النار مصير القاتل الذى يسفك الدماء بغير حق ، فما بال من يهلك نفسه هو ؟!

أستغفر الله من هذه الخواطر الخاطئة التى تدخل إلى قلبى كما تدخل الخنافس إلى الأركان المظلمة من الخربات المهجورة ، فما كان مثلى ليقدم على إهلاك نفسه ، وهى من خلقة الله بديع السماوات والأرض . وإنه لمن أكبر الغرور أن يقدم الإنسان على التحكم فى إهلاك خلقة بديعة يعجز عن أن يقلد خلقة أقل عضو من أعضائها .

اللهم طهر قلبى من هذه الخواطر الدنسة ، وطهر قلبى فوق ذلك من هذا الغيظ الذى يملأ صدرى كلما طرت حول قرأت هذا الاضطراب الذى يضرب أطنابه فى أركان « ماهوش » . ولم يغلى هذا القلب بالغيظ إذ يرى النعمة الغزيرة متكدسة على القليل ، فى حين يرى نفسه محروما منها ؟

فهل كانت هذه النعمة تهبط علىّ إذا لم يغتصبها هؤلاء ؟ إنى واحد من كثيرين مثلى ، فلم يغلى قلبى أسى من حسد المنعمين ، ولا يغلى رثاء وعطفاً على آلاف المحرومين ؟ إنه لأجدر بى أن أمسك بأطراف المشكل ، ولن أزال أدعو الله أن يطهر قلبى من خبائث الغيظ والحسد ، فالدنيا لا تستحق أن يشغل من أجلها سلام القلب والضمير . لأدع خيرات هذا الوطن المفتّن ، وتجار [illegible] ، وقهوة الحانات ، والزوايا ، ومصاصى الدماء ؛ ولأدعهم [illegible] الدنيا ، فإنى قد عجزت عن أن أكون أحد هؤلاء الذين يحوزون عاديها ، وليس لى إلا أن [illegible] أو كرها . ولأدع « ماهوش » [illegible] على كل من يتعلق شهواتها . وماذا يضيرنى إذا هى لاقت مصير أمثالها من البلاد التى لا ترتفع فوق الشهوات ؟ اللهم إنى أستغفرك من هذه الدفعات الخبيثة التى يدفعنى إليها الحنق ، وأعود فأدعوك أن تغفر « لماهوش » ، وأن توفق « ماهوش » ، وأن تتدارك بلطفك « ماهوش » وطنى الذى لا أحب وطناً سواه .

لقد دعانى غيظى الأمس إلى مذاقة لا أزال ألوم نفسى عليها ، وأقطعها أسفاً على أنى لم أفكر مرتين قبل الإقدام عليها . امتلأ رأسى بالثورة والغضب على أن « ماهوش » تخلى وتتجاهل وجودى ، وقلت لنفسى ما يقوله الناس ، إنه لا كرامة لنبى فى قومه ، ولكن عيون البشرية عشواء لا تستطيع أن ترى ما تحت أقدامها ، فهى عاجزة عن اختراق الحجب ، ولذلك لا يتردد الناس فى أن يرفعوا الأذى بالعظماء فى حياتهم ، لا لشىء إلا لأنهم لا يعرفون أنهم عظماء فى أثناء حياتهم ، فإذا انقضى

يوماً بعد موت العظيم أن تلتهب أفواه الناس بالمدحة المحضة فيطلبهم يفتنون به ويمدحونه ، كأن عاصفة اجتاحتهم فتسابقوا في الإعجاب بالمسكين ، بعد أن يكون قد قاسى في حياته المر الزر منهم ، ورحل عن الدنيا وهو في أشد حالات الشقاء والخيبة . عند ذلك تقام له المآتم والموالد ؛ وتؤلف في سيرته الكتب المطولة ، وقد تقام له الآثار ، وتبنى على قبره القباب ، ويحمل على متون الصحف والمجلات ؛ ويجني المهرة الأذكياء أرباحاً عظيمة من افتتان الناس به ، ويقطفون من تغني الناس باسمه ثماراً حلوة كان العظيم المسكين يشتهي لو أتيح له عشر معشارها في مدة حياته .

امتلأ رأسي بهذه الأفكار الحالقة ، وعولت على أن أجرب ما يحدثه أهل « ماهوش » إذا أنا مت وأخليت لهم مكاني الذي يتجاهلونه . وقلت في نفسي : إن هذه أصدق وسيلة لكي أعرف حقيقة مقداري في نظر أهل وطني ، ومنيت نفسي بأن نبأ موتي سوف يروعهم ، وسوف يشعرهم بالوحشة إليّ ، وسوف يحملهم على [illegible] فإذا أنا صحوت بعد ذلك ، كأني رأيتهم في هذا [illegible] التي جرت أثره اليوم في كل مجال [illegible] أصدقائي وقلت : « أيها الموت » !

ولم يكن من الهين عليّ أن أظهر الموت وأنا حيّ أتنفس ، ولكني خاطرت معتمداً على أنه ليس من عادة الناس أن يقلبوا الميت ، أو يجسوا أعضاءه ، ويتحسسوا أنفاسه ونبضاته ؛ فما زال الموت هيبة وحرمة تجعلان الناس يكتفون بالنظر من بعيد إلى أعضائه الساكنة وعينيه الزائغتين . وقد حدث ما توقعت ، وساعدني على نجاح حيلتي أن منزلي مظلم لا يستطيع الإنسان أن يتحقق فيه من شيء . ولست أرتاح هنا إلى كتابة كل ما كان مني تفصيله ، فإن في ذلك شيئاً يؤلمني ويشعرني بالمذلة . ومجمل القول أني تماوتّ وجمدت ، ووضعت على الفراش في انتظار النعش . وعند ذلك سمعت ما دار حولي من الحديث ، وعرفت كيف استقبلت « ماهوش » نبأ موتي .

لم يبق في « ماهوش » رجل ولا امرأة إلا أسف عليّ ، وحزن لفقدي ، وتحركت أريحية الناس فجمعوا لي — وأنا ميت — من الدراهم والدنانير ما لو جمعوه لي وأنا أسعى بينهم لكفوني مئونة الحياة وعشت بينهم قرير العين لا أفكر في الموت . وسمعت البكاء والعزاء — حتى إن امرأتي زوجة كانت تقع على الأرض من الحزن ، ولطمت وجهها وقالت عني أقوالاً حلوة لم أسمع منها حرفاً واحداً في كل ما مضى من أيامي معها ، وكنت كلما أقبلت طائفة جديدة للعزاء كتمت أنفاسي حتى لا أعجب من تمني حرفاً مما يقول كل فرد منها ، فخرجت من كل ما سمعت على أن أهل « ماهوش » يحسون في عمق ، والعطف عليّ ، والإعجاب بما أسوقه لهم من النصائح ، وأطلع به عليهم من [illegible] وحسبي والله مثل هذا القدر ، فإني لا أطمع أن يبذل أحد منهم شيئاً مما يفيض به صدري من العاطفة [illegible] ، وحسبي أن أرجع بها وحدي ، ومتى كان الناس يفهمون إلا ما يحسونه هم ؟ ومتى كان الناس يقدرون إلا ما يستطيعون أن يسموا فوقه ؟ لهذا كانت الساعات التي قضيتها في انتظار النعش من أحلى ساعات حياتي وأعظمها فائدة في درس طبائع البشر .

وأخيراً جاء صديقي أبو الورد ، بعد أن أعد كل جهازي ، واختار موضع قبري ، واشترى أكفاني وحنوطي ، ولم ينس أن يفرش لحدي بالرمل والحناء ، ليكون أرفق بجثماني . ولما دخل عليّ جلس إلى جانبي ، ولم أسمعه يتكلم ، ولم أحس أنه ذرف دمعة واحدة عليّ ، حتى شككت في أنه لم يحزن لفراقي . ولكني كنت واثقاً على ثقة من أن حزنه عليّ أعمق من أن يذرف له دمعاً ، أو ينطق معه بحرف . وقد أحسست يده تمسح على جبيني فجأة ؛ وانتهز فرصة خلو الغرفة من الناس فوضع يده على جسمي ومرّ بها على أعضائي ، كأنه لم يصدق أنني مت حقاً . وكانت يده كلما مرت على جسدي أحس رغبة شديدة في أن أقبلها ، ولمت نفسي على أنني قد خدعته كما خدعت الناس ، وكدت أنطق هامساً له بالحقيقة ، ولكني

أمسكت حزنى أن يفتضح الأمر قبل أن يحين أوانه .

ثم حملت بعد أن تم تجهيزى ، ووضعت فى النعش ، وسار المشيعون من أمامى ومن خلفى ، بعضهم ينشد الأشعار ، وبعضهم يتلو القرآن ، وبعضهم يحدث جاره فى شؤون تجارته ، أو فى سيرة جيرانه ؛ وكان المشهد تجميع عظيم يشى بما فيه من عدد عديد . وما زلت محمولا فى طرق « ماعوش » وأنا أكاد أعرف كل موضع حاث فيه مما كان يصل إلى سمعى من أصوات الأسف التى يبثها النساء والصبيان من بيوتهم ؛ فهؤلاء جميعاً أحبابى أهل « ماعوش » الذين لم أجد وسيلة للعيش فيهم إلا أن أموت .

وأخيراً بلغ المشهد إلى جانب النهر سالكاً من طريق الجسر الأعظم ؛ وكان النهر فى الأمس قد فاض وعلا حتى صارت أمواجه ترتطم بالشاطئ ، ويسمع هديرها من بعد عظيم . وكانت العادة أن يخوض أهل « ماعوش » فى ماء النهر حتى يبلغوا الجانب الآخر ، حيث توجد مقابر البلدة ولكن النهر لم يتسن له أن يعلو ويفيض كما علا الأمس ؛ وهذه من عجائب الصدف وتهكم المقادير . فلما بلغ النعش جانب النهر أحسست تردداً فى السير ، كأن الذين يحملونه قد خافوا أن يخوضوا فى النهر ، ولهم العذر فى ذلك ، فإنهم لو فعلوا لغرقوا وغرقتُ معهم ، وانقلب موتى إلى حقيقة واقعة . وكنتُ أعرف فى النهر موضعاً لا يبلغ فيه الماء فوق الركب مهما فاض النهر وعلا ؛ فلما رأيت تردد القوم ، وخشيت منهم الخطأ ، وخفت أن تقع بهم وبى كارثة ؛ تحركت ، وشددت نفسى من الأربطة ، ورفعت رأسى حتى رفعت غطاء النعش الحريرى ، فأشرفت على المشيعين ؛ وهم جميعاً فى شغل ينظرون إلى النهر ويفكرون فى أسلم طريقة للسير فيه ؛ وخشيت أن يعن لهم رأى جديد فى أن يجعلوا النهر قبرى ويقرأوا علىّ الفاتحة ، ثم يعودوا من حيث أتوا ، فبادرت صائحاً فيهم :

— من هنا ، سيروا من هنا ، فالمخاضة عن يساركم !

وما كنت أنتهى من كلامى حتى علت ضجة ، وارتفعت الأصوات فى فزع ، وتفرق المشيعون يلتمسون السبل كأنهم قطيع من شياه طلع عليها ذئب كاسر . ورمى حمال النعش فى عنف ، حتى أحسست عظامى تتقعقع ؛ وفى لحظة واحدة لم أجد حولى إلا صديقى أبا النور وحفار القبرة وواحداً من القراء لم يستطع أن يجرى لبعض ضعف فيه .

وأخذ أبو النور يملك على أكتافى بأنامل مضطربة من الفرح ؛ ولكنه كان مطمئناً كأنه لم يصدق من قبل أنى قد مت حقيقة . وبعد أن سكنت صدمة الخوف الأولى عاد المشيعون متجهين إلىّ . وكانت لهم ضجة مروّعة من ألفاظ التقريع والتأنيب ؛ حتى أزالوا من نفسى كل ما خلفه منهم من قبل من عبارات المحبة والمودة والتقدير . ولا عجب فى ذلك ؛ فقد رأوا أنى لا أزال حياً ، والحياة لا تستحق إلا الأصوات .

وبدا عليهم [illegible] وأنا مطرق من الخجل ، واقفت حول بقية النعش ، وحاولت أن أعتذر لهم عما سببت لهم من الآلام ، وأخذت أبتكر لهم ما يدفعهم إلى ركوب ذلك المركب الوعر . وأخيراً طلبت منهم أن يعطونى ما جمعوه من المال من أجلى ، وما أخذوه من الناس باسمى ، حتى لا أضطر إلى أن أموت مرة أخرى ؛ ومن يدرى ، لعل موتى فى المرة الثانية لا يكون إلا موتاً حقيقياً .

فأبوا من غير ذلك بالشتائم ، ولم آخذ منهم بدرهم واحد ، وعدت إلى منزلى حزيناً أقطع نفسى أسفاً على أنى لم أجن من وراء سعيى إلا ألماً جديداً وخيبة مريرة . وكان أبو النور أشد منى ألماً ؛ فكانت الدموع تتساقط على ثوبه متتابعة ، والأنفاس تهز صدره هزاً عنيفاً بعد أن كان هادئاً صامتاً . وقضى معى تلك الليلة كلها حتى طلع الفجر ، ولم يفارقنى لحظة ، ولم تفارقه الدموع ولا الأنفاس الحارة . ذلك الصديق !

(ملتقى الأدب) (صحة)

مشكلة الأجـــور
في الاقتصاد الحديث

استعرضنا في المقال السابق « المشاكل الاقتصادية لما بعد الحرب » بصورة عامة ودون مراعاة وجه التخصيص ، المشاكل التي تنتظر العالم بعد أن ينتهي من الحرب الحالية ، وذكرنا أن تلك المشاكل لن تكون بنت ساعتها ، بل إنها ستكون استمرارا لما فات وإن أنالها من التعديل ما يكاد يخرجها عن مظهرها الأصيل . ونعود اليوم فنضع كلا من تلك المشاكل تحت المجهر على حدة لنعرض دقائقها ، ونتبين التيارات المتضاربة التي تتجاذب كلا منها . ولنبدأ بمشكلة الأجور نظرا لأنها تمس النسبة العظمى من الشعوب ، ولما أثير حولها من أحاديث .

تواجه مشكلة الأجور في كل أنحاء العالم عدة تيارات قوية تتجاذبها من مختلف الوجهات ، [illegible] لأي منها الغلبة المطلقة ، وإن كان البعض منها قد طغى على غيره نتيجة آراء نقدية لم تراع فيها المبادئ الاقتصادية السليمة . فأما الفكرة القديمة التي سادت العالم إلى عهد الثورة الفرنسية (واستمرت في مصر أوضح مظهر إلى عهد محمد علي باشا) فهي نظرية أجر الكفاف ، أي الأجر الذي يفي بحاجة العامل الضرورية كي يعيش ليشتغل ، أي أن تلك النظرية لم تكن تنظر إلى العامل إلا كآلة تعطى ما يلزمها من الوقود كي لا تتعطل عن العمل ؛ ولكن بقيام الثورة الفرنسية وما انطوت عليه من المبادئ الإنسانية عن حرية الفرد وكرامته ، انتشر مبدأ جديد ينادي بحرية العمل ، وحرية التعاقد Laissez Faire, Laissez Passer فأصبح صاحب العمل حرا في أن يستخدم من العمال من يشاء ، كما أصبح العامل حرا في أن يشتغل حيث شاء ، وكيف شاء . وتصور أصحاب هذا المبدأ أنه بتضارب المصالح المختلفة (العمال من جهة وأصحاب العمل ورأس المال من جهة أخرى) يتسال المجتمع أعدل توازن منشود . ولنا نحن أن نتساءل — هل تتساوى الفرص أمام تلك العناصر الثلاثة حتى تتنافس تنافسا عمليا مشروعا ينتج فيما بينها التوازن المنشود ؟ ولعله مما لا يحتاج إلى شرح أو توضيح أن نقول بأن الفرص تكاد تنحصر لدى أصحاب الأعمال ورؤوس الأموال ، وتكاد تنعدم لدى العمال ؛ فسعة مدارك الأولين وسعة حيلتهم والفائض الذي لديهم و (رأس المال المدخر) تمكنهم من التحكم في العمال دون رحمة أو تقدير ، ولقد فكر العمال للتغلب على تلك الحالة الطارئة أن يؤلفوا فيما بينهم اتحادات أو نقابات بالمعنى المصطلح ترعى مصالحهم وتجعلهم في مركز الند للند أمام أصحاب الأعمال ، ولقد أدت تلك الاتحادات إلى تقوية مركز العمال ، إلا أنها كانت سلاحا ذو حدين ، فعلى الرغم مما قد حدث من طغيان فئة أصحاب الأعمال إلا أنها كثيرا ما أدت إلى اختلال التوازن الاقتصادي في الأمم [illegible] الذي يتعلق به أصحاب مبدأ حرية [illegible] ذلك لأن رأيهم هذا إنما نشأ في [illegible] الفرد أي ما ينتجه سهل التحديد ، وبالتالي كان في إمكان العامل أن يعلم هل يعطيه صاحب العمل أجرا ينصفه ، ثم إنه إذا رأى غبنا في تلك المعاملة لأمكنه أن يعمل في جهة أخرى أو أن يعمل مستقلا . ولعلنا قد تبينا أن مبدأ حرية التعاقد إنما يتضمن مبدأ آخر ، ذلك هو أجر الإنتاج أي الأجر الذي يساوي ما ينتجه الفرد ، فالشخص الذي ينتج خمس وحدات من سلعة معينة في اليوم لا بد وأن يحصل على أجر يساوي تلك الوحدات الخمس ، وإن لم يحصل على الأجر الذي يستحقه في جهة ما انتقل إلى جهة أخرى .

ولكن التعقيد الذي لازم الحياة الإنتاجية بعد الثورة الصناعية جعل من العسير ، إن لم نقل من المستحيل ، تقدير ما ينتجه الفرد تقديرا تاما بل أصبح التقدير محالا وبغير تحديد ، والنتيجة لهذا اعتقدت فئة العمال في مختلف الأنحاء أنها مغبونة دون أن تستطيع إظهار حقيقة هذا الغبن ، وإن

استطاعت نيلان مظهره في زياد أصحاب الأعمال ، وبتراكم هذا الشعور بدأت الصدمات تظهر بين العمال وأصحاب الأعمال. وحينما استقر النظام الديموقراطي أصبح للعمال القول الفصل ، وبدأوا ينادون بنظرية جديدة نعتقد نحن أنها أبعد ما تكون عن الاقتصاد السليم ! ويعتقد العمال ومن يحاورونهم أنها المبدأ الإنساني القويم ، تلك هي نظرية المستوى الأدنى للأجور وبالتالي الحد الأدنى لمستوى المعيشة . وتنادي هذه النظرية بوضع حد أدنى لأجر العامل مهما كان عمله ومهما كانت كمية إنتاجه حتى يستطيع أن يعيش عيشة مريحة كريمة ، ونحن لسنا ننقد تلك المعيشة المريحة الكريمة ، بل إنا نرجوها لكل فرد من أفراد البشرية ، ولكننا في مجال التنظيم لا ننقد مبدأ الجدارة والتنويه . فلو حددت وضمنا لعامل ما مستوى معيناً من المعيشة المريحة الكريمة فماذا يدفعه إلى العمل والاجتهاد ؟ يقول البعض إن كرامة الإنسانية تستدعي هذا ، ونقول نحن إن حسن التنظيم يستدعي شيئاً غيره .

ولعله يجدر بنا أن نتحدث قليلاً عن مشروع بيفردج وما دار حوله من أحاديث . وضع بيفردج مشروعه حاوياً بريطانيا مدعماً بالأرقام والنسب جاء فيه : « إن من واجب الدولة أن تكفل لرعاياها التحرر من العوز عن طريق مشروع تأمين إجباري يكون عاماً في تطبيقه ، فيتضمن بهذه الوسيلة حد أدنى من الدخل لكل إنسان » ، كما جاء فيه « إن الإعانة حق وليست منحة لاختبار وسائل الأرزاق »(1) كما كفل هذا المشروع لكل فرد من أفراد الشعب قدراً من المساعدة حين مولده ، كإعانة الولادة والتغذية لعهد الطفولة المبكرة ، والعناية الطبية ، كما وفر للإنسان المساعدة حين مماته من مصاريف الدفن وخلافه ، كما قرر معاشاً طيباً للشيخوخة . وقد قابلت أغلب الدوائر هذا المشروع بالتهليل والتكبير لسببين : — أولهما — أنه يرضي فئة العمال ، وهي التي يقع عليها عبء الحرب الأولى . وثانيهما — لأنه مشروع إنساني يصيب العاطفة ، وإن لم يتفق مع التفكير السليم . فأما بخصوص القسم الأول من المشروع ، وهو توفير مستوى معين لمعيشة الفرد يحصل عليه سواء أعمل أم لم يعمل ، فقد بينا فيما سبق أننا لا نوافق عليه نظراً لأنه مدعاة لإيجاد روح من الخمول والتواكل بين العمال ، مما يؤدي إلى نقص في الإنتاج ، وبالتالي إلى هبوط في مستوى المعيشة العام . وأما بخصوص القسم الثاني ، وهو تقديم قدر معين من المساعدة للإنسان حين مولده ، فإنا ندعو إلى التوسع فيه قدر الإمكان ، بل إنا ندعو إلى أبعد من ذلك ، فنطلب من الدولة أن ترعى أطفال الفقراء من يوم الميلاد إلى أن يبلغوا سن الشباب التي تؤهلهم إلى العمل ، فتقوم الدولة بتوفير الغذاء اللازم والملبس والتعليم ، كما يجب على الدولة أن توفر المعالجة المجانية [illegible] الصحية ، وما إلى ذلك من الخدمات العامة [illegible] إلى جانب هذا يجب أن تشرف على علاقة العمال بأصحاب الأعمال ، وأن تحد من أرباح الأخيرين عن طريق الضرائب المختلفة ، وأن تحارب البطالة بإنشاء الأعمال الجديدة . تلك كلمة عابرة لا تتناسب مع الأهمية الكبيرة التي أعطيت لهذا المشروع ، ولكن المجال هنا لا يسمح بالتوسع أكثر من ذلك ، وإن نحن قد أوردناها هنا ، فإنا أوردناها لمناسبتها لما سبقها . وقد نعود إلى هذا المشروع في مقال تال .

والآن كنتيجة حتمية لاستكمال هذا المقال ، نورد رأي كارل ماركس في مشكلة الأجور .

يعتقد ماركس أن العامل لا ينال أجره الحق الذي يتناسب مع إنتاجيته ، فهو إن أنتج مثلاً ما يساوي عشرة قروش ، فإنه ينال خمسة قروش بينما يذهب الباقي إلى المنظم دون وجه حق ! ويتجمع هذا الفائض في أيدي المنظمين بفعل نظام الإنتاج والتوزيع كما يبينه المثل التالي : — لو

(1) مأخوذة من محاضرة للأستاذ [illegible] أستاذ العلوم الاقتصادية بجامعة [illegible] عن مشروع بيفردج .

فرضنا هناك عدة مصانع ، بكل منها ألف عامل ينتج كل منهم (كل عامل) في اليوم ما قيمته عشرة قروش بينما يتناول أجراً قدره خمسة قروش في اليوم ، فإنه يتوافر لدى صاحب العمل كل يوم مبلغ خمسين جنيهاً ، وهو مهما كانت قدرته الاستهلاكية فلن يستهلك أكثر من ثلاثين جنيهاً في اليوم مثلا ، فيتبقى لديه فائض يومي قدره عشرون جنيهاً ، وهو كغيره من المنظمين لن يتركها عاطلة ، بل سيوظفها في الإنتاج ، بينما أن أجور العمال المنخفضة لا تمكنهم من شراء تلك السلع الزائدة ، فينتج من هذا ما يسميه البعض إفراطا في الإنتاج ، ونسميه نحن في المقال السابق عدم تناسق في الإنتاج والتوزيع .

إن الظواهر التي توصل إليها ماركس قد يكون فيها الشيء الكثير من الصحة ، ولكن النظم التي توصل إليها لقضاء على ذلك الاختلال لا تتفق مع ما نراه نحن في هذا السبيل ، بل إن الأمة ذاتها التي ... غيرت كثيراً من النظم التي توصل إليها ... التي تحمله من أنصار الدافع الشخصي ... الديموقراطية إلى حد ما على ذلك الاختلال الذي رآه ماركس من طريق الضرائب والأعمال الحكومية ، والتي تلائم وزوقات الاقتصادي في أمريكا) .

ثم إن هناك مشكلة فرعية أخرى قد نشأت نتيجة الأزمات العامة ، وتتصل بمشكلة الأجور اتصالا وثيقاً ، وهي مشكلة التضخم والانكماش[1] .

فلما يعني العمال حتى في أكثر البلاد تقدما بالأجور الحقيقية (القوة الشرائية للأجر) ، بل إن كل عنايتهم تتجه إلى الأجور النقدية التي اصطلح عليها في الماضي تحت ظروف معينة ، ولهذه الظاهرة أثرها الخطير في الحياة الاقتصادية ودوراتها ، فلو فرضنا حالة هبوط في الأسعار ، فإن النتيجة الطبيعية هي هبوط القيمة التبادلية[1] للسلع ، وبالتالي نستطيع أن نستنتج أن قيمة العوامل التي اشتركت في إنتاج تلك السلع قد قلت ، والأمر الطبيعي الذي لا مندوحة عنه الناجم إذا كانت الأمور تسير سيرها الصحيح هو خفض أجور عوامل الإنتاج ، ومنها أجور العمال ، ولكن تدخل النقابات العمالية في منع هبوط عائد العمل هبوطاً صوريا[2] يؤدي إلى نتيجتين مباشرتين :

أولا — إيجاد بطالة مقنعة بين الطبقة العاملة والآلات الإنتاجية .

ثانياً — الإخلال بالتوازن الاقتصادي ، واستمرار حالة الكساد مدة أطول مما يجب . ومن ذلك نرى أن تخفيض الأجور النقدية للعمال أوقات أزمات الكساد ، لا يتضمن في حد ذاته أي غبن للطبقة العاملة ، طالما أن الهبوط في الأجور ... من الهبوط في الأسعار ، بل إن إنقاص الأجور النقدية ... هو ضرورة تتطلبها حالة التوازن الاقتصادي ، ونرى ذلك لا بد من أن تنال الطبقة العاملة في مجموعها ضرر ليس على الرأسماليين لعنته ، وإلا تقاضوا مع العمال مثيله .

إنه ليبدو للقارئ لأول وهلة أننا لم نصل إلى أي تلك النظم التي تتجاذب مشكلة الأجور قد أظهرت صلاحية تبرر قيامه واستمراره ، وأنها لم توف الغرض الذي قام بين أهله نحن عليه الآن كي نخلي السبيل أمام يفضله من النظم ، ولكننا نذكر أن التعرض ليس من شأن الباحث ، وإنما من شأنه أن يستعرض الأمور ذاكرا أوجه الخير فيها من أوجه الشر ، ثم هو يترك بعد ذلك الأمر إلى بيده الفصل .

محمد صبري الرشيد

(١) التضخم هو زيادة النقود في السوق عن حاجة التداول ويلازم التضخم ارتفاع الأسعار وهو يحدث عادة أوقات الحروب ، أما الانكماش فهو عكسه ، ويتبعه عادة لارتفاع الحال إلى أسفله ومثال على التضخم الحرب الحاضرة ، ومثال الانكماش أيضاً قبل الأزمة العالمية سنة ١٩٣١ .

(١) القيمة التبادلية قيمة الأشياء بالنسبة بعضها والنسبة للمجموع .

(٢) خفض الأجر النقدي هو لا يعني بالضرورة خفض كمية السلع التي يستطيع الشخص الحصول عليها نظراً لهبوط الأسعار .

الرحل فى الأدب العربى

إن النضال بين الأضداد أمر راهن مستدام لا يدعو إلى الاستعجاب فضلاً عن الاستغراب ، ومنه النضال بين الحقيقة والخيال — أعنى الواقع والتوهم — فى الحكايات والقصص والرحل وتقييدات[1] السياحات ، والأخبار والآثار . وبعد أن ابتدع أبو بكر بن دريد فى الأخبار الخيالية التى عرفت بعد باسم « المقامات »[2] ، وجاء بعده بديع الزمان الهمذانى بمقاماته ، فكانت أولى المقامات من حيث الوسم لا من حيث الرسم ، نضج فن السجع وتشقيق الكلام والتشدق فى الخطب ، نضجاً أخرجه من حيز الإطناب فى البيان ، إلى صناعة لفظية تنبو عن الذوق السليم والجنان ؛ وحينئذ ظهر أبو محمد الحريرى بمقاماته ، وهى تصلح لأن تكون معجماً لغريب اللغة ... تقييداً[1] لخيال الرحل . ولما استفحل أمر ... الفن من صناعة الكلام والأقلام ، ... الواقع فشفى الخيال المنبعث النفث ، وأمعن إليه رأسه ، ثم والاه وساوره بمثل سلاحه — أعنى السجع المصنوع المتكلف ، وإن كان محكَّكا بعض التحكيك — وهنالك نشأ « فن الرحل » فى الآداب العربية ، وهى القصص المسجع الواقعى .

إن إمام هذا الفن الطريف الجديد ، هو أبو القاسم عبد الله بن محمد بن على الخوارزمى الأديب الملقب بالكامل المعروف أيضاً بالزاوطاقى نسبة إلى بلدة « زاوطاه » من بطائح واسط ؛ كان والده محمد من أهل خوارزم ، فقدم العراق وسكن تلك الناحية من البطائح ، وولد له ابنه هذا عبد الله بها ، ثم قرأ الأدب على أبيه وغيره ، وطلب العلم وسمع الحديث النبوى الشريف من أبيه وأبى سعد أحمد ابن على بن الوصلى وغيرهما ؛ وروى بواسط فى سنة خمسمائة للهجرة ، وقدم بغداد فى سنة « ٥١٠ » وروى بها شيئاً ، وقرئ عليه بها شئ آخر من شعره وتصانيفه ، ومنها كتاب « الرحل » وهو جمع رحلة أى قصة واقعية ، وصف بهذه الرحل أخبار نفسه وسيرته والأحداث التى أصابته أو أصابت والده ، وعاد من بغداد إلى بلده زاوطا فتوفى بها ، ولم نقف على تاريخ وفاته ، إلا أن فى شعره ما يدل على أنه عمر أكثر من سبعين سنة . وكأنه على كونه معاصراً للحريرى ومن نظرائه أهل الفضل الشائع ، أراد أن يصنع مثاله ... ويعارضه فى سجعه وترجيعه . ونحن لم ... ممن عنوا بتاريخ الآداب العربية ... فيه ، قال عماد الدين الأصفهانى فى ... الكامل أبى القاسم عبد الله : « وهو ذو الفضل الشائع والنطق الرائع ، وكما للحريرى المقامات فله الرحل ؛ بنى كل رحلة منها على حادثة تمت ، أو نادرة اتفقت له أو لوالده ، وأودعها من غرائب الاستعارات وبديع الألفاظ وأبكار المعانى كل ما رق وراق ، وشاق القلوب وفاق ، وله « الفصول البديعة » التى أنشأها بواسط فصيحة الألفاظ جزلة الكلام ، جزيلة الجدوى . وله رسائل غريبة ، ومصنفات عجيبة ، وسأورد منها لمعاً ؛ فمن منظومه ما أنشدنيه أبو نصر بن حامد الركوى[1] :

أطاع الهوى فاستعبدته المطامع

* وعاثت به نحو الخطوب النوازع

وكان تمادى البعد أنساه وجده

فهيج تذكاره الحمام السواجع

---

(١) التقييد عند أبناء القرن الخامس هو المعروف اليوم عند الفرنجة بالألبوم Album . قال ابن جبير وهو من أهل القرن السادس ، وأدرك السابع فى رحلته : « ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندى المتقدم الذكر فى هذا التقييد » .

(٢) فى الجلد « ٢٦ » ص ٢١ من المجلة الأدبية الموسومة بأصول التاريخ والأدب ، مقالة عن مقامات ابن دريد .

(١) منسوب إلى « الركا » فى جنوبى العراق .

نوازعُ أبكي شجوَها كلَّ ساجعٍ
لهنّ وإن لم تجرِ منها المدامعُ

كتمتُ الهوى ما استطعت فأذاع كثرةً
بقلبيَ حتى لم تسعه الأضالعُ

فوا كبدي ما لي أحنّ إلى الصِّبا
وهيهات ما عهد الصبا لي راجعُ

وإني أراك قد ناهزتُ ستين حجةً
فقلبيَ في طيع الصبابة يافعُ

يُغيّر مَرُّ الدهر أجسامَ أهله
ويبقى على حالاتهن الطبائعُ

قال العماد: «وأهدى إليّ سديدُ بن الحجاج مقدم زاوية كتاب «الرحل» و«الفصول» بخط الكامل الخوارزمي، فطالعتهما وانتخبت من خطه ما أوردت منه [1]».

نبذة من رحلة من كتاب الرحل

«طرق الاضطرار، وأحفز الاصطبار، الأمر بجمع فرضين متفترضين، وعرضين متعترضين، في حال يشتمل الاستحقاق مع سرعة اللحاق، وقصور الإخفاق في جنبات الاحتياق، ووافق القدر، أربعاء لا يدور في صفر، المكروه السفر، والقمر عند انقضاء دوله، قد زلّ بين القلب والشولة، فقلت: العقرب النحس الأقرب، وبعده القوس البائد والتعقيد موله، فقست وفكرت، وقدمت وأخرت، ثم مضيت واستخرت، فرافقني صديق وأخ شفيق، فأنكر طيقي، وأكبر خطيئتي، وقال:

مالك لا تجري على زاجرٍ
ولا تخاف السفر المعطبا؟

أما تحتَّ القوم ممن فتى
يعلمه في الحكم أو جرّ؟!

ونهيه عن سفر لاه إن
أمسى يحل القمرُ العقربا

لا سيما في أربعاء أتى
آخر شهر حان أن يذهبا

غير أني أريد رحلا جالت جوائله، واستقلت به رواحله، وتخلت عنه شواغله، وفارق واديه، وأخلى ناديه، ومتى جنحتُ إلى الإقامة، وقعت في الندامة، فلما أعييته مصمما، وتوجهت ميمما، وأصررت على العزيمة متمما، أوسعني وداعا، وشيعني دماعا». إلى أن يقول: «فلم أزل أفري من الليل إهابه، وأقطع من النهار سحابه، حتى تبدلت من ظهر الأزورق، بطن الزورق، واعتضت عن ميثرة السرج، مفترش البرج (كذا)، ومن حسكة الأعناق حكة طريحة بعيدة (الأطراف) والحباب، وصيحة الركاب. ثم يصف ضرب الحرامية — أي قطاع الطريق — لهم: «فإذا لصوص ثائرة، وكلاب ذائرة، قد أحدقوا بي إحداق الحلقة، واستداروا عليّ استدارة الحلقة، فقصدت القعود بالصوت والضرب المصبوب، فما أفلتوني إلا وأنا مزيل الإهاب، ممزق الجلباب، متصاعد الأنفاس، فاتر الحواس، من طعنة تفور، ودم يمور، وعظم مكسور، وجلد مقشور ....».

قال: ومن نثره ما يجري مجرى الأمثال: «أطوع من شامي، وأصنع من رومي، وآكل من خوارزمي، وأحيا (كذا) من نبطي، وأحسب من قبطي، وأجهل من هندي، وأطرى من سندي، وأذكى من عربي، وأبخل من مغربي، وأعلم من قرشي، وأعزّ من حبشي، وألأم من زنجي، وأفلت من زنجي، وأفصح من يمني، وأفطن من مدني».

ووصف أصناف الحجاج فقال: «أقبلت أفواج الحجاج من الفجاج، وقدمت وفود الرفاق من الآفاق:

المصري: إذا حدّث أتحف، وإذا سأل ألحف، وإذا أخذ أجحف، وإن خاطبك أبهاك، وإن عاملك

(1) أصول التاريخ والأدب، مج ١٤ ب ص ٣٦، ومج ٢٠ ص ٢٢٢، ولا شك في أن مجلداته من التراجم والأخبار ذكره كالخطيري في «زينة الدهر» وعز الدين بن النجار في «التاريخ المجدد لمدينة السلام» وابن الدبيثي في «تاريخ واسط»، وعدة كتب مما في ذيل تاريخ بغداد ومنه نقلنا شيئاً من أشعاره.

بطالة ..!

Chômage

للأديب الفرنسي الكبير اميل زولا

في الصباح ، عند ما يصل العمال إلى المصنع يجدونه بارداً عليه مسحة من الكآبة ، ففي نهاية القاعة الفسيحة تربض الآلات ، صامتة بعجلاتها المتوقفة عن الحركة . هذه العجلات التي كانت تبث الحياة في أرجاء المصنع كما هي العادة .

... ويهبط الرئيس من مكتبه الصغير ثم يقول لهم :

« ليس ثمة عمل اليوم يا أبنائي ! فإن الطلبات لم ترد بعد ، بينا يصلني من جميع الجهات نقوض(1) للطلبات سالفة إرسالها .

وهكذا سأقبع في المصنع أو [illegible]

وليس ثمة بد من إيقاف العمل »

ثم عند هم بدءه ، فيضاعفونه في [illegible]

بصمع وهالتو يتطلعون آلاتهم التي لا تمديهم شيئاً ..

إنها عشرون أو ثلاثون أسرة لن تأكل طوال الأسبوع المقبل !

... وتتألق العبرات في عيون بعض النسوة اللاتي كن يعملن في المصنع ، ولكن الرجال يريدون أن يظهروا أكثر حزماً ، فيقولون بأنه ما من أحد يموت جوعاً في باريس !

... ثم يخرجون ، الواحد تلو الآخر ، أذرعهم مختنقة ، والبرودة تتمشى في قلوبهم .

* * *

ويصبح العامل ليتمشى فوق الطيوار ، يذرع الأرصفة خلال ثمانية أيام دون أن يستطيع الحصول على العمل ، ثم يعود إلى بيته صفر اليدين ، وينهمر المطر في تلك الليلة ، فيسير تحت وطأة السيل دون وعي ، ولا يستمع إلا لصوت [illegible] كانت امرأته وبنتاه تبكيان في الصباح ، [illegible]

[illegible] العامل إلى عتبة الباب ، وأوية التجول ، مرتدية ثوباً خفيفاً ترتعد من هواء الطريق البارد .

... لم يعد ثمة شيء لديها بالمنزل ، فقد حملت كل ما تملك إلى مكتب الرهائن(1) ، وركبتها الديون ، فلم تعد تستطيع ابتياع شيء على الحساب ، فهي مدينة للخباز والبدال ، ولا تجرؤ حتى على مجرد المرور بالحوانيت !

أما الزوج .. فلم يعد بعد !

... وفي بعض الأحايين يتملكها اليأس ، فتندفع بالرغم من السيل حتى تشارف نهاية الطريق ، فإذا ما ظهر الزوج أخيراً ، تندفع نحوه تتطلع في قلق ، ثم تتمتم قائلة :

« .... حسناً ؟ » .

... أما هو فلا يحير جواباً ، ثم يخفض رأسه .

حينئذ ، تتقدمه في الصعود شاحبة كئيبة !

(ترجمة) عبد العزيز الكرداني

(1) Contre-ordres

(1) Mont-de-Piété

وأهالك . لا يزيدك في الدرة على الدرة ، ولا يطل لك في الحسبة أكثر من الحبة .

والمرق : يملأ وعاءه ، ويمكل معاءه ، ويحفظ دعيه ، ويطيل سفيه .

ويروقك من الشأن قلته ، ويروقك عادته ، ويعجبك حماته ، وإذا حته حبة قلت قيامته ، لا يستنكف ذو العقل أن يباهك في شرى البقل ، ولا يأنف الشريف أن يستزيد الطاقة على الباقة .

قلت : ورحلة وإن كانت مسجعة ، فيها كثير من الفوائد الأدبية والاعتبارات الاجتماعية ، ألا ترى أن وصفه للطحاج نادر المثال في الآداب العربية ، على كونه قول إنسان واحد فلا يكون قولاً فاصلاً ، ولا حكماً قاطعاً ؟!

(بغداد) مصطفى جواد

صـــــورة امرأة

قال صديق : اقتنيتها منذ شهور فى الإسكندرية ؛ وإذا قلتُ اقتنيتها فلست أعني الفتاة وإنما أعني الصورة ، إذ الواقع أني لم أرَ الفتاة التي تشرف عليك من هذا الإطار قط .

ونظرتُ إلى الصورة المعلقة على حائط غرفته فرأيت فتاة جميلة الوجه لم تبلغ العشرين بعد ، ورأيت فى عينيها ابتسامة حائرة لا تكاد تنفرج بها شفتاها ، ورأيت استقامة أنف الفتاة وعنقها ، وتموج خصل الشعر فوق رأسها ، فأدركت أن له العذر كل العذر فى الاحتفاظ بها .

قال صديقي : وكان اتفاقي بها فى أوائل هذا الصيف وقد حللت فى الإسكندرية منزلاً ملتُ من الوكيل الذي أخبرني أن صاحبته تقيم فى القاهرة .

وكان المنزل يشرف على البحر [illegible] تحيط به حديقة ، تتعانق أشجارها [illegible] شجيرة [illegible] رقيقة الوجه ، ضاحية الرقعة ، [illegible] كأنما هو ماس أذابت به أشعة الشمس فلم يلبث إلا ريثما غاص عددها فى البحر ، وكان لقربات الموج على الشاطئ موسيقى لا تنقطع عن أذن ساكني البيت .

وأمام السرير فى غرفتي قد علقت هذه الصورة التي وقعت من نفسي منذ أبصرتها ، وكان أشد ما فتنني فيها عيونها الساجية الباسمة .

وعلى مقربة من هذه الصورة التي رأيتها هنا عُلقت صورة أخرى لعجوز شمطاء ، مغضنة الوجه ، صغيرة العينين ، إلا أنها حسنة الشيب لم ملامحها من وداعة وطيبة .

ولاحظت شبهاً قوياً بين الصورتين أيقنتُ معه أن هناك قرابة بين الفتاة والعجوز ، فقلتُ لنفسي لعل الفتاة ابنة صاحبة البيت أو أن بينهما قرابة قوية .

ولا أدري ما الذي جعلني أقرر أن العجوز هي صاحبة البيت ، لكني شعرتُ فى نفسي شعوراً قوياً بذلك ؛ فلما حضر الوكيل وسألته عن ذلك فأقرني على رأيي .

وما كنت أولي الأمر لأمر الصورة كثيراً من الاهتمام ، وقد استأثرت بي مباهج صيف الإسكندرية وملاذه ؛ لأني كنت أستيقظ كل صباح فأجد أمامي هذه الحسناء الضاحكة وقد أشرفت عليّ من الحائط المقابل حيث تمتدّ فراشي ، ويقترن ذلك دائماً بالشمس المشرقة تتسلل غرفتي خلال النافذة ، والأمواج قريبة موسيقاها هادئة لينة ، وعبق الشذى يبلغ أنفي من شجيرة الياسمين التي تسلقت النافذة ، وذلك كله يشعرني بسعادة ليس ينقصها إلا أن تشاركني إياها صاحبة العين الضاحكة .

[illegible] ذوقي [illegible] صورة الحسناء من صورة العجوز ، فأزلت الثانية وأخفيتها فى دولاب حتى تنتهي مدة إيجاري ، ثم بقيتُ كل صباح أمتع عيني بالنظر إلى [illegible] ليلة أحييها بتحية الصباح وأنا [illegible] من حقة وتيهه ؛ ولولا ما نهضت [illegible] فى الغرفة [illegible] عينيها تنظر إليّ فى رضا ووداعة ومحبة .

فتمكن يوم بعد يوم [illegible] فى إطار ، بل امرأة كسائر النساء ، تشاركني المنزل ، إلا أنها أكثر من سائر النساء فتنة وبهاء ، وأقل منهن ملالاً وسخطاً .

وأنا قد أيقنت أن هذه الابتسامة الحائرة فى العين التي لا تكاد تنفرج بها شفتاها ، قد وجهت بها صاحبتها إلى حارسة عابدة ، وأنها ليست رسماً على ورق ، وأنها لذلك تختفي إذا ما غبتُ عن الغرفة أو نمت وطوانا الظلام !

ثم تمضي الأيام إلا والصورة وصاحبتها قد ملكتا عليّ عقلي ، فما زلت أذكر لنفسي أن هذه المخلوقة الفاتنة قد عاشت قبلي فى هذا المنزل ، وسمعت مثلي بهذه الأمسيات الوضاءة الساحرة ، فأطربتها موسيقى الموج ، وأسكرها

عبير الزهر والشجر ، وأنها لا ريب قد وقفت هنا أمام صورتها فانتشت بحسنها ، وامتلأت نفسها زهوا واختيالا ، وقد أطلت من هذه النافذة ، وجلست على هذا المقعد ، وداعبت بأناملها مفاتيح هذا البيانو ، وسعت خلال هذا الباب بأثوابها الحريرية الفضفاضة ، وملأت هذا الهواء بفائح عطرها وطيب شذاها .

ولم يمض عليّ أكثر من الشهر في المصيف حتى غدوت عاشقا لهذه المرأة ، وقامت بنفسي رغبة — جنونية إن شئت — فذهبت إلى وكيل مالكة المنزل فأنبأني بعنوانها في القاهرة ، وعجز لحداثة عهده بوكالتها عن إنبائي بعلاقة محبوبتي بالمالكة العجوز .

وقد كنت لأسافر من فوري إلى القاهرة ، لولا أن خشيت مغبة العجلة ، وخانتني شجاعتي ، فأرسلت إليها خطابا ألطف وأرق ، وأذكر شدة الشبه بين صورتها وصورة الفتاة ، وأطول في تفكير رقيق أن أعرف إن كانت الفتاة ابنتها أو أن بينهما قرابة شديدة ، وصحبت خطابي إلى يسر حالي ، ومكانة من كرسي الحكومة وحسن خلقي وطهارة مقصدي ، ومقتي الشديد لشبان اليوم ممن يتخذون من العلاقة الزوجية المقدسة وسيلة لإرضاء مآربهم السافلة .

ولم يطل بي الزمن حتى أتاني ردها ، فقرأت فيه كلاما غامضا ، ولو أنه لا يبعث على اليأس ، فقد نصحتني بالرفق والتروي ، ودعتني لزيارتها إذا انقضى الصيف وعدت إلى القاهرة .

وتملكني حب صاحبة الصورة ، وسد عليّ منافذ تفكيري ، فكان صباحا انعقد فيه عزمي ، فأخذت أول قطار ورجعت إلى القاهرة .

وسرعان ما ألفيتني في غرفة الاستقبال من منزلها وقد وقفت واجف القلب ، مشرئب العنق إلى الباب ، أتطلع لعلي أرى فتاتي تسير بين غرف المنزل ، ووددت لو أنها أشرقت عليّ بلحمها ودمها تحييني نيابة عن أمها .

ومرّ الزمن بطيئا فإذا بي أرى مخلوقة شمطاء ، ثوبها أبيض ناصع ، ووجهها متغضن ، وشعرها كامل الشيب ، إلا أنها رقيقة الملامح ، عذبة الابتسام ، تلمع في عينيها نظرة ماكرة ؛ وهي تدب نحوي متثاقلة لاهثة .

وتصافحنا وتعارفنا ، وهي ترمقني ضاحكة ، والنظرة الماكرة تلمع في عينيها كأنما تسرها ما يبدو على من دلائل القلق . قلت لها بعد المقدمة والتردد :

— سيدتي ! هل تسكن هي هذه الدار معك ؟ قالت :

— نعم هي تسكن هذه الدار . قلت :

— أرجوك أن تدعيها ، فأنا رجل شريف ، وفي رغبة شديدة إلى سماع كلمتها . قالت :

— هي الآن غير موجودة .

فالتهبت في جنبي ، وأقلقني إحساس اليأس بعد الأمل ، واستشعرت السخط على العجوز الضاحكة ، ثم تماسكت وسألت :

— ومتى تعود من زيارتها ؟ قالت متخابثة :

— ليس اليوم وربما الغد ، ومن يدري ؟ ثم أردفت ضاحكة وربما لا تعود أبدا !

فصحت بها : ماذا تعنين ؟ قالت ضاحكة :

— ما أعجلك أيها الشاب !

وقامت تدب في الغرفة لتحضر لي شيئا من الحلوى ، فذكرت شيئا جرحت له نفسي . فهتفت :

— صارحيني الحقيقة أهي متزوجة ؟

فردت بخبث زاد في كرهي لها :

— كلا ! ما هي متزوجة .

وحمدت الله عليها ثم توسلت لها ، وفي نفسي ما بها :

— أتظنينها تقبلني زوجا ؟ قالت هازلة ضاحكة :

— من يدريني ؟ لو كنت صاحبة الرأي لما ترددت في قبولك . قلت :

— أرجوك أن تخبريني متى تعود ! حتى أرجع في وقت مناسب .

حول مذكرات دجاجة

أرجو أن يتسع صدر «الثقافة» القراء لهذه الكلمة التي أقصد منها النفع العام لا المنفعة الشخصية.

والواقع أني أشعر بخجل شديد حين أكتب هذه الكلمة، فقد كنت أوثر أن أترك للقراء أن يعبّروا عن آرائهم بصراحة بدلاً من أن أقطع عليهم الطريق.

وأول ما أبدأ به شكر جمهرة القراء الذين تفضلوا بالكتابة في المجلات والجرائد وفي رسائل خاصة معبرين عن مختلف آرائهم في مذكرات دجاجة. وقد جنحوا جميعاً إلى الرفق بهذه المخلوقة الصغيرة والحدب عليها والثناء على خلقها، وعلى رأس أولئك القراء أستاذي الجليل الدكتور طه حسين بك الذي تفضل وقال عنها إنها مخلوقة بائسة مظلومة، فحمل سائر القراء على أن يبالغوا في حسن الظن بها والعطف عليها، فهو ذو الفضل الأول في توجيه القراء هذه الوجهة الكريمة.

وأود ثانياً أن أشير إلى أمر ذهب إليه بعض الأقلام، لا سيما في فلسطين — وهو أن الدجاجة تناولت في حديثها قضية سياسية محلية معلومة. ولا شك في أن لكل قارئ الحرية التامة في فهم المذكرات على الوجه الذي يريده. ولكن مما لا يصح أن يقع أن يبنى فهم القارئ على الكلام — أو الكتابة — ويذهب في تأويلها مذهب التعنت. وهنا ما يحدو بي على الإعلان بصراحة تامة أن تلك القضية السياسية المحلية لم تخطر بالبال قط حين دوّنت تلك المذكرات، ولو خطرت بالبال لاختلف سياق الحديث بالضرورة.

ولا أدري أهو ذنبي أم ذنب الدجاجة أم ذنب ذلك الفريق من القراء. أما أنا فإني أؤكد أني كنت مخلصاً أميناً لهذه الدجاجة التي عاشت في بيتي. وأما هي فلعلها موجودة ونمّ حديثها، فتصحح بعض ما أبهم. وأما هم فما عليهم بعد هذا التصريح البين إلا أن يحسنوا الظن بهذه المخلوقة الوديعة ويحلقوا معها، بعض الوقت، في عالم مثالي بريء من الدسائس والخصومات.

وأود أن ألفت النظر إلى ورود بعض الأخطاء «المطبعية» في الكتاب، وصدر القراء أوسع من أن يجرموا بها. ولعل أظهرها سقوط سطر كامل بين أول ص ٤٤ إلى ... سهواً في السطر الثالث عشر ... من التوكيد في كلمة «ازدواجي» في السطر السادس عشر في الصفحة نفسها. أما الحركات والنقاط التي وضعت في غير مواضعها، فأمرها يسير، وجلّ من لا يسهو. والله تعالى غفور رحيم.

(القدس) إسحق موسى الحسيني

فردت قائلة:

عد متى شئت، أهلاً وسهلاً. واستقر في جوابها فمضت وقت كرهنا أن ننقطع بالضحك والسخرية، وانصرفت عنها بعد أن أعطيتها عنواني وأذكر لها أني منها، مصمم أن أراك رب البيت، على أرى فاتحين لك في الأمر بيننا.

ولم يمض زمان حتى أتاني خطاب هذا نصه:

«لقد فكرت في الأمر بعد زيارتك فخطر لي أولاً أن أتركك في جهلك، وألا أوقظك من حلمك الجميل، ثم بدا لي بعد ذلك أن هذا النوع من المغرمين، فرأيت أن أكتب لك لأقول إن التي تحدثت عنها هي امرأة في الستين، وإن الصورة التي رأيتها في بيت الإسكندرية هي صورتي وأنا شابة.

وإن شئت فسوف أرسل في طلبها وأهديها إليك لتكون تذكاراً لحادثة مبتك».

قال صديقي:

والأمر ما أنعى بها المطالب من الصورة، وحل محل لهفة قلبي شعور من الحزن العميق، لا أدري كيف أفسره.

محمد عفيفي

عصابة البيت الأحمر

(بقية المنشور على صفحة ١٨)

فهذا ما دار برؤوس تلك القلة من الرجال ، وما كان لتدور فيها نظرية سخيفة كهذه لولا جهلهم بما هم فيه ، ولولا أنهم في هذا الأمر يأدبون ، وأنهم في ظلام يتحسسون ، وأنهم بأغلال من ماضيهم غير مغلولين !

عندئذ بدأت تظهر تلك القرادات الأولى التي احتجزها « ركز » بعد فشل التجارب الأولى ، بعد أن ثبت أنها لا تعطي الحمى للخنازير ، واحتجزها لغير غاية سوى أنه لا يحب تضييع شيء . فقام « اسبنسر » ، مع آخر يدعى « جتنجر Gettinger » ، إلى الثلاجة ليأتي بشيء من هذا القراد وهو في أحقاقه [illegible] حيث كان وضعه « ركز » . ومن حسن من هذه الأحقاق أخرج كتلة من هذا القراد الذي لا [illegible] الكتلة على بطون خنازير غينية ، [illegible] شكلا من نحاس ألصقاها في موضعها [illegible] رباطه حول هذه البطون . ومضت ثلاثة أيام شرب فيها هذا القراد الظامئ من دم هذه الخنازير حتى ارتوى وشبع ، وصار في حجم حبات الذرة قبل طحنها .

وأخذ « اسبنسر » وصاحبه « جتنجر » يرقبان من فوق هذه الخنازير التي صيّراها مقاهي للقراد تشرب فيها السم انتعاشا ، وجعلا يرقبانها لا يريدان ، ولم لا . . . ألم يثبت لهما عشرات قليل من تجارب أن هذا القراد لا خطر فيه . وبأيديهما العاريتين بدآ يلتقطان القراد من جلود هذه الفرائس ، من جلود هذه الخنازير ، فيصيبان ، فيسحقان أصابعهما ، لأن الأمر من البساطة والأمن بحيث تستخف معه الحيطات . وبأيديهما العاريتين أخذا يسحقان هذا القراد ، وهو بالدم ملء ، في هاون ، ليخلطاه فيه بقليل من ماء مالح . وأمسك « جتنجر » ، وهو ذو قوة عظيم ، يمسك بالخنازير الغينية في الشدة واحدا واحدا يمنعها من الحركة والتلوي ، بينا يقوم « اسبنسر » عليها بمحقنة ، ويدس فيها من ذلك الحساء اللعين ضعفه من دم ذلك القراد .

وقد يتقبل أصحاب هذه الخنازير عند ما يجري الحقن فيها ، فكيف نعيب والعاقبة أمن وسلام .

ولكن لا تمضي ثلاثة أيام حتى يصبح الأمن خوفا ، والسلام حربا ، وتلك الجلود الناعمة الملساء لتلك الحيوانات الناشئة تخشن ، وأجسامها تتأجج نارا ، وأحجامها تصغر نحولا فكأنما تحفها يد حرب من فوق نار . ولا تمضي بضعة من أيام أخرى حتى تموت جميعها ، وتموت موتة مريعة لم يستطع تعليلها أبدا .

وبهذه التجربة [illegible] طريقهم تلك الصخيرة البعيدة ، [illegible] أنك إذا أرضعت هذا القراد [illegible] دفعة كبيرة من دم خنازير غينية [illegible] تحيله طفرة إلى قراد غير ضعيف ولا لطيف ، وربما إلى قراد يستمر فيه الشر استمرارا .

(يتبع)

أحمد زكي

صاحب امتياز المجلة

رئيس لجنة التأليف والترجمة والنشر

أحمد أمين بك

رئيس التحرير المسئول

محمد عبد الواحد خلاف

ثمن

الاشتراك عن سنة	٤٥ في مصر والسودان
	٣٧/٥ للطلبة ومعلمي الإلزام
	٦٠ في الممالك العربية ضمن اتحاد البريد
	٧٥ في الممالك الخارجية عن اتحاد البريد

ثمن العدد ١٥ مليما

الكتب الجديدة

المذاهب السياسية المعاصرة

كتاب من سلسلة «اقرأ» التي تصدرها مكتبة المعارف بالقاهرة، يقع في حوالي مائة وخمسين صفحة من القطع الصغير، ومن تأليف الأستاذ علي أدهم الموظف بوزارة المعارف.

والكتاب على صغر حجمه يدل على اطلاع واسع ودراسة عميقة، وتشمل أبحاثه مقدمة في أسباب اهتمام الناس بالسياسة وعنايتهم بها في هذه الأيام، وفي اختلاف آرائهم في المسائل السياسية الحديثة، وتفرع المذاهب السياسية أو «تشققها» كما يسميها المؤلف وتعقدها والأزمة العالمية الراهنة.

وتلي المقدمة أبحاث في الفرد والدولة، وقيمة الفرد في ظل الديمقراطية وفي ظل غيرها من نظم الحكم؛ ثم بحث في طلائع الدكتاتورية بدأه بالأسباب التي أدت بالأمم المتحضرة إلى الحالة التي هي عليها الآن، والتي أدت بأممها أن تضع جهودها بين يدي فرد من الأفراد يتصرف فيها كيف شاء؛ وانتقل من هذه الأسباب إلى التيارات الفكرية التي مهدت السبيل لظهور الدكتاتوريات الحديثة في أوربا، فذكر أساتذة موسوليني الطليان أمثال: برجسن وسوريل وباريتو، وأساتذة هتلر الألمان مثل هيجل ونتشه.

ووصف الكتاب بعد ذلك الدكتاتوريات الحديثة التي قامت في أوقات متعددة في أوربا، والتي سقط بعضها ولم يعمر طويلا واستمر بعضها وتوطدت دعائمه. وأعقبه فصل في الأسس النفسية للحكم الدكتاتوري وآخر في الفلسفة الفاشية والفلسفة الماركسية.

وتشمل هذه الأبواب السابقة أكثر من نصف الكتاب، أما النصف الآخر فقد خصه الأستاذ بالديمقراطية لأنه كما يقول ديمقراطي الرأي والعقيدة. وأكبر الظن أنه على حق في هذا، فالديمقراطية أوسع المذاهب السياسية انتشارا وأثبتها دعامة، وقد تكلم في هذا الفصل عن الديمقراطية والمساواة، والديمقراطية والحرية، والديمقراطية والفردية، والديمقراطية والقومية والأممية؛ ثم بدأ يدافع عن الديمقراطية ويرد على ناقديها، ووصف الأزمة التي تعانيها في هذه الأيام.

واختتم الكتاب ببحث موجز في الديمقراطية واتجاه الحضارة، وآخر أوفى منه في الاتجاهات السياسية الجديدة.

هذه خلاصة الأبحاث التي يحتويها الكتاب، ونكتفي بذكر عناوين الكثير منها لأن المقام لا يتسع لإيراد ما جاء بها من الآراء.

ولا ينتظر من الكتاب بطبيعة الحال أن يبحث في هذا الكتاب الصغير كل ما يمكن أن يقال في هذه الموضوعات المتعددة، ولعله يقصد أن يجعل كتابه هذا مقدمة لمن يريد أن يتوسع في دراسة المذاهب السياسية؛ فإذا كان هذا قصده كان من واجبه أن يدل القراء على المصادر التي استقى منها معلوماته.

وقد أجاد فيما أورد في الكتاب ما أورد، وذكر بعض عيوب الديمقراطية ورد على أقوال ناقديها، وكان ينتظر منه أن يذكر أهم هذه العيوب كلها وهو طريقة التصويت ونظام الأحزاب؛ ذلك أن طريقة التصويت الحالية المرتبطة أشد الارتباط بالنظام الحزبي الذي يحشد الأعضاء ويسيطر على ضمائرهم حين يعطون أصواتهم في المسائل الهامة من أكثر مواضع النقد في النظم الديمقراطية، وقد أغفل الأستاذ أدهم هذا ولم يرد عليه، وهو كما قلنا من أظهر عيوب الديمقراطية وأكثرها ظهورا أمام الشخص العادي. وشبيه بهذا ذكره بعض التهم التي توجه إلى الديمقراطية ثم إغفاله الرد عليها، أو الرد عليها بجملة عبارات عامة لا تزيل الشكوك. وفي وسع القارئ أن يتبين هذا إذا قرأ هذه الانتقادات والرد عليها في ص ١٣٧ وما بعدها.

وقبل أن ننتقل إلى الكلام عن أسلوب الكتاب، نقول إن الكتاب بطبيعة الحال مكتوب للقارئ العادي لا للقارئ المتخصص الذي درس المذاهب السياسية وعرف أبحاث من كتبوا فيها. وإذا كان هذا حقا فإنا نأخذ

في الأستاذ كثيراً ما ذكره في كتابه من أسماء الكتاب الذين لا يعرف القارئ العادي بل القارئ نصف المتخصص شيئاً عنهم ، فإذا جاز أن يعرف القارئ العادي شيئاً عن نتشة وهيجل وسوريل ، فماذا يعرف عن أورتجه ولحت وبوزانكيه وغيرهم من الأسماء الكثيرة الواردة في الكتاب؟ لقد كان الواجب على الأستاذ وقد أورد هذه الأسماء أن يذكر كلمة عن أصحابها في هامش الكتاب ، ولست أظن أنها كانت تزيد في حجمه أكثر من صفحة أو اثنتين .

أما من حيث الأسلوب ففي الكتاب أجزاء واضحة كل الوضوح ، سلسة كل السلاسة ، ومن أمثلة هذه الأجزاء كلامه على الركبة في ص ٨٥ ، وكلامه على الديمقراطية في ص ٩٧ وما بعدها ، ترى في هذه الأجزاء المعاني واضحة ، والأفكار متسلسلة يتبع بعضها بعضاً في نظام منطقي متين ، وأسلوب عربي مستقيم .

لكن في الكتاب أجزاء أخرى [illegible] التعقيد بسبب استخلاص المعنى [illegible] عبارات لا معنى لها ، كقوله إن هيجل [illegible] أخلاقية شاعرة بنفسها ، وقوله في ص ٣٣ إن مما يثير العجب موقف بعض الرجال الذين « يعتزون إلى الفكر من الديمقراطية » ، وقوله في ص ١٤٦ « واستبدال الحرية بالمساواة ، والحكومة القائمة على موافقة الشعب والحث والإقناع والمناقشة الحرة المقبولة بالحكومة المستبدة تحت قال في حين أنه ليس هنالك ضمان بأننا سنتسلم البضاعة » .

وقد يكون منشأ هذا الغموض ما في الأسلوب نفسه من تعقيد : انظر إلى قول المؤلف في ص ١٩ ، تر هذا التعقيد الشديد الذي لا يكاد الإنسان يتبين منه المعنى المراد : « ومع تسليمنا بأن الفرد في المجتمع يتمكن من إنماء طبيعته وإظهار قدرته ، وتطور عبقريته ، لأن الرجل الفريد في جزيرة نائية إن كان يملك حريته فإنما هي حرية مجردة سلبية ، لأنه — وإن كان في وسعه أن يعمل كل شيء — ولكنه في الحقيقة لا يستطيع أن يعمل شيئاً ، أقول إن تسليمنا بذلك لا يقتضي كون الحكومة قادرة على كل شيء ، ولا ينفي أن الدولة موجودة لأجل الفرد » .

يضاف إلى هذا أن الترقيم في الكتاب كله مضطرب كل الاضطراب ، فقد استعمل المؤلف الشولة (،) بين أجزاء الجملة الواحدة في بعض الأحيان ، واستعملها بين الجمل المستقلة أحياناً أخرى ، وفي كثير من الأحيان ترك الجمل المستقلة متداخلة بعضها في بعض ، تداخلا يتعذر معه تحديد أوائلها وأواخرها . ولا حاجة بنا إلى ضرب الأمثلة ، لأن في وسع القارئ أن يجد ذلك في أي جزء من أجزاء الكتاب .

ويلوح أن المؤلف لم يراجع أصول الكتاب قبل أن يرسله إلى المطبعة ، وإلا لاستطاع أن يصحح كثيراً من الغلطات النحوية ، والتي لا يكاد يخلو منها فصل من فصوله . ونذكر منها على سبيل التمثيل قوله في ص ٣٩ ، « وأحدث التغييرات المروعة مثل استبدال الطربوش بالقبعة » وقوله : « إن [illegible] المجتمع [illegible] في إنتاج الوسائل » ، يريد : إن الأساس [illegible] المجتمع ، وقوله « وعلاقة الاستغلال ، وهو أنها لا تتغير في الجوهر ولكنها مع ذلك قد أخذت صوراً متعددة » ، وقوله : « وأما انتصار طبقة الفقراء في العصر الحديث فإنها ستؤدي إلى خلاص الإنسانية وتقضي على الطبقات » ، وقوله : « وتشك الشيوعية في صلاح الديمقراطية لأنها في عهد الرأسمالية لا تمكن إلا تكون خيالا لا حقيقة له » ، وقوله : « وليست تعنينا هنا التفصيلات ، وإنما الفرق الأساسي بين النظرية الديمقراطية والنظرية الأرستقراطية الخ » .

وفي الكتاب بعد ذلك أغلاط مطبعية قليلة كان في وسع المؤلف والطابع بشيء من الدقة أن يصححاها ، وبخاصة إذا كان المؤلف الأستاذ أدهم وكان الطابع مطبعة المعارف .

وبعد ، فهذه كلمة صادرة عن رغبة صادقة في الإصلاح ، وإنا خرجت عن المألوف في الكتابة عن المؤلفات ، نرجو ألا تحمل على غير المقصود منها ، وأن يتسع لها صدر المؤلف والطابع .

م . غ

الراديو «المبث»

رأين أيانَ براعةَ الإنسانِ
في صنعةِ الأسلاكِ والحيطانِ
ولقد هممتُ أذنَ الحديدِ به على
آذانِنا في السرِّ والإعلانِ
فمُهُ بعيدٌ ما تلتقي أذنُهُ
بينٌ دونها إطنابٌ ولا نقصانِ
يتسقّطُ الوحيَ البعيدَ مسُّهُ
فتخالُهُ كَلِمًا من الجيرانِ
ما للزمانِ والمكانِ بمُرفقِهِ
قيدٌ ولا لنوازمِ الإمكانِ
يأتيك بالأنباءِ أسرعَ سيرِه
في لحظِ طارقِهِ بلا [illegible]
في نقلِهِ الإعجازُ غيرُ مُنقّصٍ
أبدًا ولا كسلٌ ولا [illegible]
إنْ يأذنِ الكذبُ الشراعُ يجيءْ به
والصدقُ ينقلُهُ بلا استحسانِ
لم تعرفِ الدنيا مبيّنًا مثلَهُ
يحكي الصدوقَ وواضعَ البهتانِ
لولا الجرحُ العيرُ أقصى غايةٍ
فعدّوهُ بعضَ صناعةِ الشيطانِ
ولطالما خدمَ العلومَ بشأنِهِ
فتبلّغت فيما ليس في الحسبانِ
وشفى القلوبَ عنا بودِّ سماعِهِ
من لحنِ موسيقى وصوتِ أغانِ
للهِ ما بلغَ العقولُ من العُلا
وهي الصناعةُ من هدى الرحمنِ

([illegible]) مصطفى جواد

يا ليـــــل

سهرانُ تحصي خفقاتِ القلوب
والصمتُ في طياتِك ساجٍ رهيب
ترقبُها وأنت مستغرقٌ   كأنما أنت قلبٌ رقيب
وفيك يا ليلُ سجلٌّ طوى   أسرارَ كونٍ مترامٍ رحيب
تضمُّ هذا الكونَ في لحظِهِ   يجتمعُ النائي بها والقريب
ما فاتَ أذنيكَ صدًى خافتٌ
أو حجبتْ عنك خفايا الغيوب
فهتفةُ المحرومِ سجّلتَها   ولفتةُ المشتاقِ يلقى الحبيب
ودمعةُ المكروبِ في سُهدِهِ   وقد قضى الليلَ يقلّبُ كئيب
وبسمةُ الهانئِ في نومِهِ   يحلمُ بالعيشِ الهنيءِ الرتيب
وصرخةُ الطفلِ إلى أمِّهِ   وأمُّهُ لا تحسنُ تستجيب
وذلك الشيخُ رهينُ علّتِهِ   يسمعُ الموتَ إليه دبيب
وهذه [illegible] مشتركة   يعلو جانبَها شواظُ اللهيب

* * *

[illegible]   أظلُّ تطويهِ إلى أن يغيب
فإن تمضي يا ليلُ ميقاتَهُ   وعادَ في حلكتِكَ من الغيب
تمضي به كأنه لم يكن   يخطرُ في هذا الفراغِ الجديب
كأنما لم تحتويه ساعةٌ   ولم تكن تقسو له أو تطيب
في أيِّ وادٍ في الدجى مظلمٍ   تذهبُ يا ليلُ بتلك القلوب ؟

* * *

وأمسِ إذ كنتَ وديعَ السُّرى
هل انطوى يا ليلُ أمسي القريب ؟
وهذه الليلةُ إذ تنتهي   في نشوةٍ كالسُّمّارِ الطروب
هل ينتهي حسنُكَ هنا غدًا ؟
تطويهِ في هذا السجلِّ العجيب ؟
وهكذا تذهبُ أعمارُنا   وكلُّ حسنٍ وجمالٍ حبيب ؟
في أيِّ وادٍ في الدجى مظلمٍ   تذهبُ يا ليلُ بتلك القلوب !
يا ليلُ ! ما أنا مستفسرًا   وأنت تمضي ساهرًا لا تجيب

محمد قطب

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — بشارع الكرداسي رقم ٩ بعابدين — مصر